

**ليست النصرانية ولا الوثنية :
الاسلام يتشر في اوساط العبيد الأفارققة في الامريكتين**

بقلم : د. جورج هـ جون

جامعة شمال كولورادو مارس ١٩٩٥ م

ترجمة

الدكتور حامد عبد العزيز الانصاري
مدرس بقسم العقيدة والدعوة والثقافة الإسلامية
كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية
جامعة قطر

يتواجد المسلمون بشكل عام في قارة إفريقيا (٨٠٠,٢٥٠,٢٧٨ نسمة) وفي جميع مناطق قارة آسيا (٩٧٦,٩٣٦,١٠٠,٠٠٠,١٠ مسلم ، بينما يوجد في دول البحار الكاريبي ما لا يقل عن ٤٠٠,٠٠٠ مسلم . ففي سورينام وحدها يوجد ١٠٠,٠٠٠ من المؤمنين (٢٥٪ من عدد السكان) ، وفي ترينيداد وتوباغو يوجد ١٢٠,٠٠٠ آخرون ، وكذلك يوجد ٥٠,٠٠٠ في فينزويلا و ١٠٠,٠٠٠ جويانا ، ويتوزع الباقون في كل من باربادوس وغرنادا والدومينican وبورتوريكو والجزر الأمريكية العذراء وجامايكا^(١) . وكان الأفارقـة هم أول من أدخل الإسلام إلى بعض بلدان العالم الجديد .

عندما يحمل الكثير من المؤرخين ديانات الأفارقـة والأفارقـة الأمريكيةـين ، فإنـهم عادة ما يركـزون على الـديانـات الإـفـريـقـية الـبدـائـيـة ويرـكـزـونـ أيضـاًـ عـلـىـ تحـولـ الأفارقـةـ فيـ أمرـيـكاـ إـلـىـ النـصـرـانـيـةـ .ـ وـيـشـرـونـ فـيـ نقـاشـاتـهـمـ قضـيـةـ تـشـكـلـ كـنـيـسـةـ السـوـدـ فيـ أمرـيـكاـ وـتـطـوـرـهـاـ .ـ وـلـكـنـهـمـ عـادـةـ ماـ يـغـفـلـونـ النقـاطـ التـالـيةـ :

- ١ - أن عدداً من الأفارقـةـ كانوا يـعـتـنـقـونـ النـصـرـانـيـةـ قـبـلـ أـسـرـهـمـ .
- ٢ - أن بعض الأفارقـةـ قد حـافـظـواـ عـلـىـ مـعـقـدـاتـهـمـ الـدـينـيـةـ كـلـيـاًـ أوـ جـزـئـيـاًـ .
- ٣ - أن عدداً كـبـيراًـ منـ الأفارقـةـ كانواـ مـسـلـمـينـ .

حتـىـ الأـعـمـالـ الـعـلـمـيـةـ مـنـ مـثـلـ :ـ كـتـابـ «ـ مـسـلـمـوـ أمرـيـكاـ »ـ The Muslims of America لـإـيفـونـ حـدـادـ Yvonne Haddadـ أـهـلـلـ فـيـ اـسـتـعـراـضـةـ التـارـيـخـيـ أـيـ إـشـارـةـ إلىـ الـسـلـمـينـ الـأـوـأـلـ منـ إـفـريـقـيـاـ .ـ أـمـاـ كـتـابـ «ـ إـلـاسـلـامـ فـيـ إـلـشـمـالـيـةـ »ـ Islam in North America: A Soursbookـ مـصـدـرـ أـوـلـيـ Michael A. Koszegiـ وـ جـ.ـ جـورـدونـ مـيلـتونـ J. Gordon Melـ فـقـدـ قـدـمـ قـائـمةـ قـصـيـرةـ مـنـ الـمـارـجـعـ وبـعـضـ الـمـعـلـومـاتـ التـارـيـخـيـةـ القـلـيلـةـ معـ أـنـهـ يـقـرـ بـإـسـهـامـاتـ الـمـبـكـرـةـ لـلـأـفارقـةـ .ـ وـكـذـلـكـ فـإـنـ الـمـقـالـ الذـيـ كـتـبـهـ أـكـبرـ محمدـ Akber Muhammadـ بـعـنـوانـ «ـ الـمـسـلـمـونـ فـيـ الـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ »ـ Muhammad in the United Statesـ

(1) Lary Luxner, "Muslims in the Caribbean," Aramco World 38 (September 1987), 3.

«Muslims in the United States: History, Religion, Politics and Ethnicity» يدعى أن الفضل في تأسيس الجالية الأمريكية المسلمة يرجع إلى جهود الإنسانيين والناقمين على المجتمع والدين من الأمريكيين ذوي الأصل الأوروبي . كما أنه يؤكد أن الأمريكيين الأفارقة لم يكونوا سوى الوارثين الدينيين لهؤلاء البيض الأوائل^(٢) .

هناك اتحاد تاريخي بين الإسلام والأفارقة ، فوفقاً للتراث الإسلامي ولابن إسحاق - كاتب سيرة محمد - فإن أثيوبياً يدعى بلال بن رباح كان أول من أذن للصلوة في الإسلام . بلال - الذي ولد في مكة - كان من أوائل المتحولين للإسلام ، الدين الذي بشر به في سنة ٦١٠ م تاجر محلي من مكة يدعى الرسول محمد . وفي عام ٦٢٢ م خلال الهجرة - هجرة محمد وأتباعه من مكة إلى المدينة - صحب بلال الرسول طوال العقد التالي كحامل دعوته وخدم مؤذن له . ولكن هناك بعض الغموض في تاريخ بلال بعد وفاة النبي في عام ٦٣٢ م ، لكن يبدو أنه ربما يكون قد صحب الجيوش الإسلامية إلى سوريا ومن المحتمل أن يكون قد توفي فيها فيما بين عامي ٦٣٨ و ٦٤٢ م .

أجمل ساعة في حياة بلال جاءت في كانون الثاني (يناير) من عام ٦٣٠ م ، في مناسبة يُنظر إليها كواحدة من أعظم اللحظات في التاريخ الإسلامي ، بعد أن فتحت القوات الإسلامية مكة ، اعتلى مؤذن الرسول ظهر الكعبة لينادي المؤمنين للصلوة ، وكانت المرة الأولى التي يسمع فيها الأذان في أقدس مدينة في الإسلام^(٣) .

كان آلان د . أوستن Allan D. Austin أحد المؤرخين الذين تعرضوا بالدراسة لأوائل المسلمين الأفارقة في أمريكا في كتابة الممتاز « المسلمين الأفارقة في أمريكا ما قبل الحرب »^(٤) African Muslims in Antebellum America

(2) Akbar Muhammad, "Muslims in the United States: History, Religion, Politics and Ethnicity," *Journal Institute of Muslim Minority Affairs* 12:2 (July 1991): 439.

(3) Barry Hobeman, "The First Muezzin," *Aramco World* 34 (July-August 1983): 3.

(4) يقصد الحرب الأهلية الأمريكية (المترجم) .

المسلمين الأفارقة العبيد في العالم الجديد يعد تاريخاً مجهولاً . ولكن وحسن الحظ فإن أسماء بعض المسلمين العبيد قد تم توثيقها، كما أن أسماء العديد منهم قد بدأت في الظهور . من هذه الأسماء : صالح بلايلي من ماسينا Macina (١٧٧٠-١٨٤١) وأيوب سليمان من بوندا Bondo (١٧٧٣-١٠٧١) ، وعبد الرحمن من فوتا جالون Futa Djalon (١٧٦٢-١٨٢٩) وعمر بن سعيد من فوتا تورو Futa Toro (١٧٧٠-١٧٦٤) والأمين كيري من فوتا جالون Timbuktu (١٧٧٥-١٨٣٥) والعبد الجامايكي أبو بكر الصديق من تمبكتو Timbuktu (١٧٩٠-١٨٤١) وبلال من فوتا جالون (١٨١٤-١٨٥٩) وهو عبد برازيلي وطالب في إحدى الكليات الأمريكية^(٥) .

الإسلام في إفريقيا :

إن انتشار الإسلام في إفريقيا موثق بشكل جيد ، لكن معظم الأدبيات تركز على بلاد المغرب وليس على مناطق ما تحت الصحراء الكبرى^(٦) . في غرب إفريقيا - المنطقة التي جاء منها عدد كبير من العبيد الأفارقة - حقق الإسلام نجاحات متنوعة وإنه لمن الواضح جداً أن عدداً كبيراً من سكان غرب إفريقيا كانوا مسلمين .

إن قصة اختراق الإسلام لإفريقيا السوداء - جنوب الصحراء الكبرى - مازالت بحاجة إلى بحث مركز وشامل . ويبدو أن الإسلام في شرق إفريقيا كان قادراً على تحقيق تقدم يسير في البداية وذلك بسبب تجارة الرقيق بشكل أساسي ، ولكن بمجرد أن تم تحريم الاسترقاق أصبحت الدعوة إلى الإسلام نشطة في الداخل وكذلك في غرب إفريقيا فإن فترة النشاط الإسلامي من

(5) Randall M. Miller and John David Smith, eds., *Dictionary of Afro-American Slavery* (New York: Greenwood Press, 1988), 370-371.

(6) المغرب هو الجزء الغربي من العالم الإسلامي ويكون من الجزائر وليبيا والمغرب وتونس . وعندما كان المسلمون يحكمون إسبانيا كانت تعد جزءاً من المغرب (المؤلف) .

خلال حركات الجهاد المختلفة حدثت خلال القرن التاسع عشر . إن من الصفات المميزة لانتشار الإسلام في إفريقيا كانت المزج بين الحركات الصوفية والمفهوم القويم للجهاد ، وربما كان ذلك بسبب التركيبة القبلية للمجتمع الإفريقي⁽⁷⁾

لقد حافظ الإسلام (الاستسلام) في العالم بشكل جوهري على المفهوم المركزي له : « طريقة مقدسة في الحياة ، تمثل رسالة الله الخاتمة لرسوله محمد التي سجلت في القرآن . وبالنسبة للمسلمين (الذين أسلموا أنفسهم [للله]) فإن الإسلام يعد هو « السبيل » وذلك لأنه يزودهم بالعقائد والمهارات التي بواسطتها تتحقق النجاة للأفراد والمجتمعات .

ال المسلمين الأفارقة - كالمسلمين في كل مكان - يسعون لتطبيق الأركان المحددة التالية كواجب من واجبات الإيمان : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة خمس مرات في اليوم أولها قبيل بزوغ النهار ، والمحافظة على الصوم عن الطعام وغيره خلال شهر رمضان وإيتاء الزكاة والحج إلى مكة . بالإضافة إلى ذلك فإن المسلم الجيد عليه ممارسة بعض الشعائر الموقوتة بالتقويم القمري والامتناع عن المحرمات ، وأداء الفرائض ، ومراقبة النهج الإسلامي في الشعائر مثل التسمية ، والإيمان بقدرة القوى الغيبية الخارقة ، مثل التعاوين والكهانة ، والإيمان بقدرة الأولياء والصالحين ، والجهاد لنشر الدين إذا لزم الأمر⁽⁸⁾

(7) Faslur Rahman, *Islam*, end ed. (Chicago: University of Chicago Press, 1979), 8.
يدعو القرآن المؤمن للجهاد والذي يقصد به أن تهب المال والنفس في سبيل الله ، والمهدف منه إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أي تطبيق النظام الإسلامي الاجتماعي الأخلاقي) ص ٣٧ .

(8) Ali A. Mazrui, Cd., *The Africans: A Reader*(New York: Prager, 1986), 65.
لا حاجة إلى الإشارة إلى أن الإيمان بمثل هذه القوى التي أشير إليها في هذا النص المقول ، ليست من العقيدة الإسلامية في شيء ، بل لقد جاء الإسلام لمحاربتها وإقصائها . ولا يطلق وصف (عالم الغيب) على غير الله سبحانه وتعالى (المترجم) .

كان للإسلام أثر كبير على وضع النساء في منطقة ما تحت الصحراء الكبرى في إفريقيا . ففي كثير من المجتمعات الإفريقية التقليدية يتمتع الرجال بدرجة أعلى من درجة النساء ، ولكنهن يشاركن بشكل فعال في العديد من مجالات المجتمع . أحد الأدوار التي يقمن بها هو دور الوسيط ، ويقصد به الشخص الذي يقوم بالصلة بين العالم الروحي والإنساني . وفي هذا المجال قد يكون للإسلام تأثير سلبي أو إيجابي بناءً على النظرة الشخصية للمرء^(٩) .

التحول (للإسلام) يعني اتباع الشرع والمارسات الإسلامية ، بما في ذلك التحول من النظام الأموي Matrilineal إلى النظام الأبوي Patrilineal الإسلامي . ونتيجة لذلك فقدت النساء التحولات (للإسلام) القوة السياسية والاجتماعية التي كن يتمتعن بها في مجتمعاتهن التي تتبع النظام الأموي Matrilineal . وبشكل خاص فإن ليس الحجاب أو البردة للمرأة قد زاد من القيود عليها . ولكن الإسلام وفر لهن تعويضات في مجالات أخرى ، مثل : الحقوق القانونية في الزواج والطلاق والحماية ضد الاستعباد (الرق) والحدث على تحرير الإمام اللاتي يحملن من أسيادهن^(١٠) .

(٩) هذا الدور الثانوي أو الهامشي الذي لا يكاد يذكر ربما كان من آثار انتشار السحر في إفريقيا . ولا صلة له بالإسلام على كل حال (المترجم) .

(10) Michael L. Conniff and Thomas J. Davis, *Africans in the Americas: A History of the Black Diaspora* (New York: St. Martin's Press, 1994), 24.

مصطلح «النظام الأبوي» Patrilineal يستخدم في حالة انتساب الأبناء إلى الأب ، أما مصطلح «النظام الأموي» Matrilineal فإنه يطلق على حالة يتسبب فيها الأبناء إلى الأم ، كما وجد في بعض المجتمعات البدائية ، حيث كان خروج الرجل أو الأب إلى الصيد يعرضه إلى المخاطر مما قد يؤدي إلى عدم عودته إلى أهله ثانية ، وقد دعا ذلك هذه الجماعات إلى نسبة الأبناء إلى أمهاتهم . وفي هذا الصدد يرى بعض علماء الأنثروبولوجيا أن مرحلة انتساب الأبناء إلى الأم تمثل مرحلة في تاريخ تطور الأسرة سابقة ، تطورت بعدها الأسرة إلى نسبة الأبناء إلى الأب (المترجم) .

انظر في هذا الصدد : أحمد أبو زيد ، البناء الاجتماعي : مدخل لدراسة المجتمع ، الهيئة العامة للكتاب ، الإسكندرية ، ج . م . ع ، ط ٣ ، ١٩٧٩ .

نشأت الصوفية في بلاد فارس والعراق خلال القرنين الثامن والتاسع كطريقة مدهشة للوصول إلى الحقيقة الروحية للإسلام . وحدث هناك انقسام بين علماء اللاهوت والفقهاء وبين أولئك الذين أعطوا للدين مزيداً من التركيز على الشخصيات في مجال الورع الديني . وكان هذا بمثابة رد فعل على الإحساس بوجود مفاهيم شرعية تجنب التركيز على الشخصيات مما قاد لنشوء الصوفية . أحد هذه المفاهيم الأساسية هو الإيمان بالمهدي - المؤيد من الله - وهو الشخص الذي سيظهر قرب نهاية العالم ليعيد السيادة للعدل والإسلام فوق القوى غير الإلهية^(١) ، لقد كانت الصوفية قادرة على التأقلم مع المعتقدات والممارسات الشعبية لأنصار المتحولين [لإسلام] وحتى مع الجماهير المتحولة اسمياً فقط .

... أثبتت الصوفية بأنها الطريق الأكبر لانتشار الإسلام وتحديداً بفضل اتباعها الحلول الوسطية . ففي الهند ووسط آسيا وتركيا وإفريقيا جلبت الصوفية الملايين إلى أحضان الإسلام بسرعة مذهلة وما زالت تعتبر قوة داعية إلى المهدى في إفريقيا^(٢) .

لعب التجار من الصوفيين وغيرهم من الغولانيين Fulbe والمانديين Mande دوراً الهواة من المبشرين والدعاة وحملوا المذاهب الإسلامية الأقل قبولاً من المناطق الشماليّة للصحراء الكبرى إلى غرب إفريقيا . ويسبب النقص في الدعاة المسلمين في العديد من المناطق ، تجمع المئات من الإخوان حول مرشددين دينيين معينين والذين قاموا بنقل وتوضيح علاقتهم الشخصية بالله إلى أتباعهم^(٣) . بينما كانت النصرانية تطلب من المتحولين إليها تخليص أنفسهم تماماً من ممارساتهم السابقة ، فإن الإسلام - حسب المفهوم الصوفي على الأقل - ترك مجالاً للتأقلم مع العادات الإفريقية^(٤) . وهناك عدد من الطرق الصوفية في العالم .

(11) Rahman, *Islam*, 129-131.

(12) المصدر السابق ، ص ١٥٥ .

(13) Bohanan and Curtin, *Africa and Africans*, 318,

(14) لا تكاد تجد مستشرقاً أو مبشراً - أو كاتباً مسيحياً بوجه عام - كتب عن الإسلام في إفريقيا ، وبخاصة حين يكون الحديث عن انتشار الإسلام في هذه القارة ، إلا ويتحدث عن هذا =

ففي منطقة الزنوج الإفريقية تجد تنوعاً في التوجه السياسي. فتوجد بعض الطرق تستعمل القوة وأخرى تحب السلام⁽¹⁵⁾.

من خلال الصوفية الشعبية ، تمكنت المعتقدات والطقوس الروحية للبرير والأفارقة من فرض طابعها الخاص على الإسلام في إفريقيا ، فالمرابط من البرير والرجل المقدس أو القائد الديني The Alfa من المسلمين الزنوج يعد أساساً امتداداً لشكل من أشكال الجماعات الدينية قبل الإسلام مثل الرجال المقدسين والأطباء السحرة في معتقدات الزنوج المشعوذة⁽¹⁶⁾.

وهناك أمثلة أخرى محددة حيث اندمج الإسلام مع المعتقدات الإفريقية الأهلية والتي أعطت له نكهة إفريقية .

على امتداد إفريقيا امتنج الإيمان بالله مع الإله الخالق عند الأفارقة الكونيّين Cosmologies ، ولكن غالباً ما يستخدم اللفظ الإفريقي للإله بشكل متبدّل مع لفظ الله . جنباً إلى جنب مع لفظ وينام Winnam ، ويستخدم السواحليون الموجودون في شرق إفريقيا لفظ الله ومنجيyo Mungu كالفاظ متراوفة . وكذلك فإن القوى الخارقة في الديانات الإفريقية الأهلية قد مالت إلى الأسلامة معتمدة على المبادئ القرآنية . فعودلت الأرواح الخيرة بالملائكة والأرواح الشريرة بالجن . والأئمة المسلمين - وهم أشخاص يتمتعون بقوى روحية - يحددون مصادر الشر ويسعون لطردّها باستخدام آيات من القرآن⁽¹⁷⁾.

كانت غانا ومالي وسونغاي Songhai تمثّل ثلاثةً من مالك السافانا الرئيسة في غرب إفريقيا . وصل الإسلام إلى غانا من خلال الطرق التجارية في القرن التاسع ، عاكساً عملية الأسلامة التي حدثت في كل من إسبانيا والبرتغال . كان اللوف Wolofs من أوائل المتحولين [إلى الإسلام] في غرب إفريقيا ، وقد تحولوا

= التأقلم الموهوم كسبب من أسباب هذا الانتشار ، وفي سياق بحثهم وتنقيبهم - فقط - عن أسباب خارجة عن طبيعة الإسلام ذاته . علمًا بأن هذا التأقلم الذي انتهت إليه المسيحية قد لا تفهِّم عن بعض رجال الطرق الصوفية في عصر متأخر حين أصابها الانحراف والتشويه (15) Ranman, *Islam*, 157.

(16) المصدر السابق ، ص ١٦٣ . المرباطون كانوا من العلماء المسلمين الرحالة والذين كانوا يعملون أيضاً بالتجارة . (المؤلف) .

(17) Mazrui, *The Africans*, 66.

بواسطة التجار العرب . واستطاع التجار المانديون Mende من مالي والفوولانيون Fulbe كسب المتحولين [ل الإسلام] عن طريق القدوة الحسنة أثناء جولاتهم في أسواق غرب إفريقيا . وسبب التوسع الذي حصل في امبراطوري مالي وسونغاي بانتشار الإسلام في منطقة سينيغامبيا Senegambia واستطاعت مالي هزيمة غالانا في حوالي عام 1235 م وبدورها فقد سيطرت عليها سونغاي في القرن السادس عشر . كان أسكيا محمد Askia Muhammad أحد أشهر القادة المسلمين في سونغاي وهو الذي قام بتحويل مدينة تمبوكتو Timbuktu - المركز الرئيس للدراسات العربية والإسلامية - إلى جنة للمفكرين حيث بلغ سكانها مائة الف نسمة . وقد تولى أسكيا العرش في عام 1493 م وقام بتحويل ملكته إلى واحدة ربما كانت من أكبر وأقوى الملك في العالم المعروف^(١٨) .

لقد سادت المآذن العالية للمساجدين الكبار وجه المدينة . وتوزعت البيوت ذات الأسطح الخشبية المستوية في جميع الأتجاه ابتداءً من المسجد الكبير . وكان المسجد الأقدم مسجد سانكور Sankore - والذي كانت جامعة سانكور ملحقة به - مركزاً للمفكرين . . . وفي الشوارع الضيقة لهذه العاصمة السودانية ، اختلط العلماء بالتجار الأغنياء السود وكذلك بالأولاد الصغار الذين كانوا يجلسون في الظل يتلون القرآن . وقدم الشباب من معظم مناطق العالم الإسلامي إلى مدينة تمبوكتو للدراسة القانون والجراحة في جامعة سانكور ، وقدم العلماء من شمال إفريقيا وأوروبا للتحاور مع المؤرخين والكتاب في الإمبراطورية السوداء^(١٩) .

مع حلول القرن الثامن عشر كان الإسلام قد تمكن في منطقة غرب إفريقيا من السنغال الواقعة على ساحل المحيط الأطلسي متداً ٢٠٠٠ ميل شرقاً ليصل إلى تشاد والكاميرون . ولقد توسع الإسلام أيضاً إلى أعلى غينيا وأعلى ساحل العاج . كان تجار ماندي الذين يمارسون تجارة الملح والذهب في غينيا هم المسؤولون عن انتشار الإسلام في تلك المنطقة ، وكان أهالي ماندي بحاجة إلى

(18) Conniff and Davis, *Africans in the Americas*, 27; and Clyde-Ahmad Winters, "A Survey of Islam and the African Diaspora," *Pan-African Journal* 8 (1975): 426.

(19) Lerone Bennett, Jr., *Before the Mayflower: A History of Black America*, 5th edition (New York: Penguin, 1961), 18.

العبيد لحمل الذهب شمالاً والملح جنوباً ، وبعد تحولهم إلى الإسلام اعتن العديد من هؤلاء العبيد ، ولدى عودتهم إلى بلادهم قاموا بنشر الإسلام في مجتمعاتهم . وقد اخترق الإسلام العديد من القبائل الإفريقية بشكل كامل في أغلب الأحيان ، وأثر على أولئك الذين كانوا يسكنون المدن فقط أو الذين يتبعون إلى طبقات معينة .

كان نفوذ المسلمين سائداً وكبيراً (من الشرق إلى الغرب) وشمل الولوف والتوکولر Tokolor أو الفولاني Fulani والعديد من الخطباء المانديين (السونيك Sonike والديولا Dyula والمانديكا Mandinka وفتة معينة من سكان منطقة نهر النيجر والعديد من الموسما والكانوري Kanuri)^(٢٠)

كان الفولب [الفولانيون] يقطنون منطقة نهر السنغال إلى شمال الكاميرون ، وكانوا من أوائل الذين قبلوا الإسلام من الأفارقة الغربيين . وتنحدر أصولهم من قرب منطقة الفتواتورو في أواسط نهر السنغال ، وهي منطقة تشتهر بمجتمع زراعي ، ويتكلّم أهلها لغة الفولا Fula . وفي اللغة العربية تعني الكلمة تكروري Tkruri المسلمين الزنج ، وهي مشتقة من الكلمة العربية لفوتا تورو . وبالرغم من استقرارهم بشكل أساسى - باستثناء الفترات التي كانت

(20) Miller and Smith, *Dictionary of Afro-American Slavery*, 370.

الولوف كانوا يمثلون طائفة عرقية من المسلمين الأفارقة من السنغال والذين تم استرقاقهم في بيرو ومنطقة البحر الكاريبي . كان أصحاب المزارع يعتقدون بأن لهم تأثيراً خطيراً بسبب تمردتهم وميلهم للهرب . الفولب كانت تمثل طائفة عرقية وملكة إفريقية في نفس الوقت . وتم استرقاق العديد منهم في العالم الجديد . الفولا (الفولاني) ، مجموعة تعمل بالرعي في غرب إفريقيا وكانوا مسلمين . وأولئك السودانيون الذين يتميزون بالشعر الناعم والوجوه الناحلة والأنوف البارزة ، كانوا يشاربون الأوربيين في بعض الصفات الخلقية ، وقد نقل العديد منهم إلى البرازيل . وفي بداية القرن التاسع عشر قادوا عدة ثورات ضد أصحاب المزارع والحكومات . كان العديد منهم من المتعلمين جيداً ، وكانوا يعملون في صناعة الحديد ، ويتميزون بمعرفتهم الواسعة في تربية الماشية ، وكان منهم رجال الدين والمدرسين والمشتغلين بالسياسة ، كما أورد بنجامين نونيز .

Binjamin Nuniz, *Dictionary of Afro-Latin American Civilization*, 200 – 201, and 207; and Winter, "A Survey of Islam," 427.

تخبرهم التغيرات الجوية فيها على المجرة - فإن بعض الفولانيين كانوا دعاة مسلمين يسافرون كرجال علم وتجار وصانعين للرقيق . وإن العديد منهم قد استقر بهم المقام بعيداً عن بلادهم حيث كانوا جاليات دائمة من المعلميين الذين يعيشون في المجتمعات الغربية عنهم^(٢١) .

كان الاسكتلندي مونجو بارك Mungo Park من أوائل الرحالة الأوروبيين إلى إفريقيا ، والذي قام بتوثيق سجالاته مع المسلمين . ولد بارك في عام ١٧٧١ م ، وانطلق في شهر مايو ١٧٩٥ لاكتشاف مجرى نهر النيجر لحساب مؤسسة الحث على اكتشاف أدغال إفريقيا . وعاد من الرحلة إلى بلدته في يارو Yarrow في يوم عيد الميلاد سنة ١٧٩٧ م ، وقام بتأليف كتاب عن رحلاته . وفي عام ٤ م ١٨٠٤ قام ببعثة جديدة إلى إفريقيا ومن هناك وصل خبر وفاته إلى أهله في عام ١٨٠٦ م^(٢٢) . وقد وصف أربع مجموعات كان قد قابلهم في منطقة غامبيا .

إن سكان الأقطار المحيطة ب GAMPIA ، رغم أنهم موزعون بين عدد كبير من الحكومات المتباينة ، يمكن في اعتقادي تقسيمهم إلى أربع فئات كبيرة ، الفيلوب Feloop والجالافي (اللوف) والفولانيين Jalooffs والمانديين Mandignos . وفي أواسط جميع هذه الأمم كان دين محمد وما زال في تقدم ملحوظ؛ ولكن في العديد من هذه الأمم فإن عامة الناس - الأحرار منهم والعبيد - حافظوا على الخرافات الخادعة ولكن غير الضارة لأجدادهم ، وكان أتباع محمد يشيرون إليهم بالكافار^(٢٣) .

وبالرغم من أن بارك Park كان إلى حد ما موضوعياً ، ولم تكن أساليب دراسة المجتمعات غير المألوفة قد حددت بعد ، فإنه رغم ذلك استطاع أن يقدم ملاحظات قيمة ، وقد لاحظ أنه بالرغم من أن الإسلام قد حقق تقدماً ناجحاً

(21) Bohannan and Curtain, *Africa and Africans*, 320-322.

(22) Mungo Park, *The Travels of Mungo Park* (London, England: E. P. Dutton and Company, 1907), vii-ix.

(23) المصدر السابق ص ١١ .

(24) المصدر السابق ص ١٣ .

فإن الكثير من الناس كانوا لا يزالون يمارسون دياناتهم السابقة ، ومن الملاحظات الأخرى أن الإسلام كان له تأثير كبير على نظام الحكم عند المانديين .

لم يكن للزوج أي لغة مكتوبة خاصة بهم ، لذلك فإن القانون العام لا تأخذ القرارات كان يتم بناء على العادات والتقاليد القديمة ، ولكن بسبب التقدم والانتشار الكبير للنظام المحمدي بينهم ، فقد أدخل المتحولون لهذا الدين - وعن قناعة دينية - وبشكل تدريجي العديد من الأنظمة المدنية للنبي ، وفي حالة عدم وجود نص صريح بشكل كافٍ في القرآن كان يتم الاعتماد على تفسير وشرح له يسمى الشرع ، والذي يحتوي - كما أخبرت - على شرح وترتيب للقانون المحمدي بشقيه المدني والجناحى ، مرتبًا ترتيباً جيداً واضحاً^(٢٤) .

كان المانديون هم أكبر القبائل من حيث العدد والقوة في سينياغامبيا ، وكانوا أول من واجه البرتغاليين في القرن الخامس عشر . كان المانديون والفولانيون والسوسو Susu مسلمين ، وفي الوقت الذي بدأ الاتصال الأوروبي (مع إفريقيا) كانوا قد وصلوا إلى مناطق المجموعات غير الإسلامية في منطقة فوتا جالون من غينيا العليا وسيراليون . ونظرًا لأن القرآن سمح للمسلمين بشن الحرب على غير المسلمين ، قام التجار السود المسلمين باتباع عادة الأسر العام والذي شجعه حاجة الأوروبيين للعمالة . كان الوثنيون هم أول ضحايا تجارة الرقيق بها فيهم اللوف والجاليون . كان الرقيق يباعون إلى التجار المسلمين والذين كانوا أيضًا من الدعاة إلى الدين . وكان بعضهم من المؤلدين من المانديين والبرتغاليين^(٢٥) . وقد لوحظ أن المانديين كانوا متعلمين يستطيعون قراءة اللغة العربية وكتابتها إضافة إلى ترجمة لغتهم إلى العربية . كانوا مزارعين ومربيين للحيوانات (ما عدا

(25) Walter Rodney. "Upper Guinea and the Significance of the Origins of Africans Enslaved in the New World," *The Journal of Negro History* 54 (October 1969): 333.

المانديون الذين استعبدوا في جزر الهند الغربية (West in dies) والبرازيل ، كانوا طوال القامة ، شجعانًا . ومفضلين للعمل المحلي . كانوا معروفين بذرعتهم إلى تكوين مجموعة اتحارية للتخلص من العبودية . وفقاً لـ :

Nuniz, *Dictionary of Latin American Civilization* 296.

الخنازير) ويفارسون التجارة بما فيها تلك التي تحتاج لرحلات تجارية إلى مسافات بعيدة . وحسب مبادئ الشرع الإسلامي فإنهم كانوا لا يشربون الخمر ويصومون شهر رمضان كما أن الرجال والنساء كانوا يختتنون^(٢٦) .

كان المسلم الماندي يتميز بالاحترام والتقدير في أوساط سكان غينيا العليا لكونه مانحاً للحماية الروحية بواسطة الحجب والكتابات القرآنية . كان أبي رجل دين إفريقي (مارابو Marabou) يقع لسوء حظه في الأسر في أمريكا الإسبانية لابد أنه كان ذا سلطان في غينيا العليا . كان التجار الإنجليز في القرن الثامن عشر يسمون التاجر المسلم في غينيا العليا بـ جل الكتب- Book ، بسبب عمله . وإنه لما يشعر بوجود مكيدة ما معرفة أن Bookman هو اسم القس الإفريقي الذي خطط لاندلاع الثورة الكبرى في سانت دومينجو Saint Domingue في عام ١٧٩١ م بعد وصوله إليها عبر جامايكا^(٢٧) .

وقد وقع أيضاً في الشرق كل من الباتشرين Pathcharis سكان وادي غامبيا الوسطى والباسرين Baasris سكان أعلى الوادي وكذلك البايماريسيون Bam-baras . وفيما بعد كان المسلمون يُستبعدون بسبب جنایات طفيفة وأخرى كبيرة . وبالرغم من أن الإسلام كان مستأثراً بقادة الولوف إلا أنهم لم يرضوا ويقتنعوا به نهائياً إلا في القرن الثامن عشر . وحافظ العامة رغم ذلك على معتقداتهم التقليدية . وقد حاول الحاليون Djolas مقاومة سيطرة المانديين وسيطرة الإسلام ، كما أنهم رفضوا المشاركة في تجارة العبيد عبر المحيط الأطلسي . وبسبب عدم قدرتهم على حماية أنفسهم فقد أصبح الآلاف منهم من الرقيق . كان الفولانيون وهم جماعة أخرى من غامبيا أيضاً من المسلمين . وبحلول القرن السادس عشر الميلادي أصبحوا مزارعين يعملون لصالح المانديين ، وكانوا يشاركونهم أحياناً في أسر العبيد . وقد تفادى الكثير منهم البيع كرقيق بسبب حماية المانديين له . كان

(26) Gwendolyn Midlo Hall, *Africans in Colonial Louisiana: The Development of Afro-Creole culture in the Eighteenth Century* (Baton Rouge: Louisiana State University Press, 1992), 38-39.

(27) Rodney, "Upper Guinea and the Significance of the Origin of Africans," 336.

السيراكيوله Seraculeh - وهم الفرع الشمالي للمانديين - يعيشون أيضاً في سنيغامبيا وقد اشتغلوا في تجارة الرقيق في منطقة أعلى النهر التابعة لوادي غامبيا .

مارس الحكم والكبار التجارة بعامة الشعب ، وغالباً ما كان ذلك يتم بغض النظر عن كون الإسلام معترضاً به أم لا . وأحياناً كانت تحدث بعض الأخطاء حيث يتم استبعاد أحد النبلاء ، هذا ما حدث مع أيبوب بن سليمان Job Ben Solomon الذي كان رجلاً غنياً من القولا من منطقة غامبيا . وقد عبر النهر مع قافلة من العبيد والتي كان ينوي بيعها لوالده . وقد تم أسر ابن سليمان نفسه بواسطة التجار المانديين وبيع للقبطان پايك Pike قبطان السفينة أرابيلا Arabella ، وهو الشخص نفسه الذي كان ابن سليمان يبيعه من يأسهم من العبيد ، وما يذكر أن الاثنين كانا يتجاذلان طويلاً قبل أن يتتفقا على السعر . . . وكان الأوروبيون حريصين جداً على تصحيح مثل هذه الأخطاء قبل العبور إلى الوسط ، إذا وقع أحد النبلاء في أيديهم عن غير قصد . وكان الدافع لهذا الحرص هو الخوف من قيام فتنة الصفة من السود من الانتقام ، وكذلك رغبة الأوروبيين في حماية مصالحهم التجارية . ولذلك بينما كان الجاليون واللولوف والجماعات الصغيرة غير المسلمة يمثلون أعداداً هائلة من العبيد من سنيغامبيا أثناء القرن الثامن عشر ، بالرغم من ذلك فإن جميع القبائل الرئيسية في المنطقة كانت ممثلة في قائمة العبيد⁽²⁸⁾ .

الاتصال الأوروبي بالأفارقة :

كان الاتصال الأوروبي المكثف بالأفارقة قد بدأ في القرن الثامن الميلادي ، قبل العصر الحديث لتجارة الرقيق . فقد شهد عام 711 م اجتياح المسلمين - العرب والبربر من شمال إفريقيا وحلفائهم من الأفارقة الآخرين وكان يطلق عليهم المغاربة (Moors) - حيث سيطروا على إسبانيا والبرتغال وجنوب فرنسا وجنوب إيطاليا ومنطقة البلقان ، ويعبورهم مضيق جبل طارق ، هزموا القوطين الغربيين Visigoths حيث وصلوا إلى بيرنزيه Pyrenees وهناك أسسوا إمبراطوريتهم . كان مركز تلك الإمبراطورية الإسبانية المسلمة هو مدينة قرطبة .

(28) Marget Washington Creel, "A Peculiar People": Slave Religion and Community-Culture Among the Cullahs (New York University Press, 1988), 38-40.

وبدأت محاولات إعادة السيطرة على إسبانيا منذ عام ٧٢٢ م والتي بدأها دون بيلابيو Don Pelayo ولكن هذه العملية لم تنته إلا بعد ٨٠ سنة تقريباً . وفي عام ٧٣٢ م استطاع تشارلز مارتل Charles Martel (الملقب بـ تشارلز المطرقة the Hammer) وهو حاكم فرانكش Frankish وجد شارلمان Charlemagne أن يوقف تقدم الاجتياح (الإسلامي) في معركة تور بواتيه Tours-Poitiers وبعد الاجتياح المغربي لإسبانيا تم استبعاد الأفارقة السود من منطقة ما تحت الصحراء الكبرى والعرب والبربر والسلافيين Slavs والإسبان النصارى وذلك مع بدء العصر الذهبي الإسباني^(٢٩) .

هذه الحضارة بنيت على صهر السكان الإسبان والبربر في الثقافة العربية والإسلامية وساهم في ذلك الازدهار الاقتصادي العظيم . وتتميز إسبانيا الإسلامية بهالة من المجد ، بمسجدها العظيم في قرطبة والحدائق والنوافير والساحات في مدينة الحمراء وشعر المؤسحات والرجل بأبيات الشعر العربية المتميزة بالأسلوب القصصي أحياناً ، والحدائق المروية في سفليلا Saville وبلنسية Valencia ، والشهيرة أيضاً بالفلسفة الحكيمية والعلوم - هذه هي المأثر التي اشتهر بها الإسلام الإسباني . وكانت إسبانيا هي بؤرة نقل الفلسفة اليونانية من العالم العربي إلى أوروبا^(٣٠)

الإسبان وتجارة الرقيق :

استمر الإسبان في استيراد الرقيق الأسود إلى إسبانيا بعد عام ١٤٩٢ م^(٣١) ، وبشكل خاص إلى سافيل ومقاطعة الأندلس ، ويسبب قلق السلطات الإسبانية

(29) Conniff and Davis, *Africans in the Americas*, 16-17; and Manuel Marzal, "Transplanted Spanish Catholicism," in *South and Meso-American Native Spirituality: From the cult of Feathered serpent to the Theology of Liberation*, ed. Cary H. Gossen, 140-169 (New York: Crossroad, 1993), 143.

(30) Ira M. Lapidus, *A History of Islamic Societies* (New York: Cambridge University Press, 1988), 378.

(31) العام الذي خرج فيه المسلمين من الأندلس ، من آخر معاقلهم في غرناطة التي كانت بيد بني الأخر . وكان ذلك في الثاني من شهر كانون الثاني (يناير) في مطلع العام المذكور (المترجم) .

من انتشار البدع بين السكان الهندو في العالم الجديد ، قامت بتمديد قوانين الرق القديمة في كاستيلانيا Castillina لتشمل تلك المنطقة . كان هدف إسبانيا في البداية هو فقط إدخال فئة اللادينز Ladinis أو النصارى الذين يتحدثون الإسبانية إلى جزر الهند الغربية Indies وليس البوزال Bozales ، السود الخام القادمين مباشرة من إفريقيا . كان يتم شراء البوزال في إفريقيا ويباعون في المستعمرات الإسبانية في العالم الجديد . ولقد تخلى الإسبان عن هذه السياسة لأسباب صحية واقتصادية في عام ١٥١٠ م .

ولما وجد التاج (الإسباني) أن اللادينز يصعب السيطرة عليهم وئنهم مرتفع ، تم إعادة تقييم هذا التوجه وإقرار أن البوزال على نفس المستوى البدائي من حيث الدين الذي كان عليه الهندو في العالم الجديد - قبل تنصرهم - وهذا لم يكن هناك خطر من أن يلوثوا سكان جزر الهند الغربية من الناحية الدينية^(٣٢) .

ولكن بسبب شدة الطلب على الزنوج في العالم الجديد ، اضطرب الإسبان إلى التغاضي عن موقفهم في منع شراء البوزال . ولكنهم أصرروا على حظر شراء فئة واحدة ، هذا الحظر كان على المسلمين . كان التخوف الأساسي هو من اعتقادهم بأن الإسلام سوف يتنتشر من الأفارقة إلى الهندو المتنصرين^(٣٣) . في عام ١٤٩٢ م استطاعت إسبانيا أخيراً هزيمة الدولة الإسلامية الأوروبية التي استمرت [أكثر من] ٧٠٠ عام ، وكان بعض الجنود الإسبان النصارى في العالم الجديد قد حاربوا ضد الإسلام .

لقد أعاد أسلوب المستعمر الإسباني في مواجهة الحياة البدائية والوحشية في أمريكا إلى الأذهان ذكريات إعادة السيطرة (على الأندلس) . ويمكن

(32) Herbert S. Klein, *Slavery in the Americas: A Comparative Study of Virginia and Cuba* (Chicago: Quadrangle Books, 1967), 65-67.

(33) Colin A. Palmer, *Slaves of the White God: Blacks in Mexico, 1570-1650* (Cambridge: Harvard University Press, 1976), 7.

القول دونها لبس بأن صورة الأندلس التي كانت محفورة في أعين الجنود (الذين
أعادوا الأندلس) ظهرت مرة أخرى في أعين المسيطرین على العالم
الجديد^(٣٤).

ويبدو أنه كان هناك أسباب كثيرة لمنع المسلمين من دخول العالم الجديد على
أساس الصراع الديني . عاش النصارى والمسلمون فترات صراع مريرة في إسبانيا
بين عامي ٧١١ م و ١٤٩٢ م على المستويين العسكري والديني ، وكلاهما كان
يعتبرها حرباً مقدسة . ولقد أثر الاجتياح الإسلامي لإسبانيا في العلاقة الحميمة
النامية بين الكنيسة والدولة في إسبانيا والتي كان لها جذور في إنشاء الامبراطورية
الرومانية المقدسة ، وكذلك في تتوسيع شارلمان في سنة ٨٠٠ م . إن عملية إعادة
السيطرة صحت معها نموذج الدولة الدينية بأقصى أبعادها وذلك لأن إسبانيا
شعرت بال الحاجة إلى تقوية الوحدة الدينية والسياسية للدولة الوطنية الناشئة ..
وهذا فقد تم في يونيو ١٤٩٢ م طرد ما بين ١٥٠,٠٠٠ إلى ٢٠٠,٠٠٠ يهودي
من إسبانيا بسبب خطرهم المتوقع على الكاثوليكية ، واحتمال تمرد هم وضلالهم
بعقيدة آثمة . أما المسلمين فقد واجهوا مصيرًا آخر .

في عام ١٤٩٩ م قام الكاردينال كيزنيروس Cardinal Cisneros - رئيس
الأساقفة (المطران) في غرناطة بإجبار الموزاريين Mozarabs - وهم الذين كانوا
يمارسون النصرانية في إسبانيا المسلمة - على التحول إلى الكاثوليكية . وبعد
تعميدهم عرفوا باسم الموريسيكيون Moriscos وكان يشك بأن العديد منهم كانوا
محافظين على إيمان عميق بالإسلام . وبعد سياسات قاسية جداً ، قام المغاربة
بثورات في إسبانيا كتلك التي حدثت في البجارة Alpujarra في عام
١٥٦٨ م . وفي سنة ١٦٠٩ م و ١٦١٣ م أمر بطرد جميع المسلمين - وعددهم
حوالى ٣٠٠٠٠ - من إسبانيا . وبالرغم من أن الخوف من تحول النصارى إلى
الإسلام كان هو السبب الرئيس في ذلك ، فقد كان هناك أيضا تخوف من تأييد

(34) Rafael Guevara Bazan, "Muslim Immigration to Spanish America," *The Muslim World* 56 (July 1966): 173.

الأتراء لثورة إسلامية^(٣٥). هذه المعتقدات والتوجهات لدى الإسبان النصارى أسهمت في تشكيل النظرة تجاه دور المسلمين في العالم الجديد .

كان الإسباني فرانسيسكانز Franciscans يؤمن بحتمية نهاية العالم ، أما كولومبوس Columbus فقد كان يؤمن بأن نهاية العالم ستحدث في منتصف القرن السابع عشر . كان بعض الإسبان يؤمنون بأن الله قد أوكل إلى إسبانيا دور إبقاء العالم على الديانةنصرانية قبل تحقق النبوة . وكان الخلاص يكمن في الانتصار على اليهودية والإسلام بشكل خاص . وكان الهدف من رحلات كولومبوس وغيره من المكتشفين الإسبان هو كسب السيادة العالمية من الناحية السياسية والدينية للنصرانية من أجل الإعداد لنهاية العالم المتوقعة . كان كولومبوس وغيره يؤمنون بأنه فقط عندما يتم رحلته الأولى يصبح التبشير بالإنجيل إلى الأمم التي تعيش فيها وراء البحار ممكنا ، وبالتالي يتم تنصير الوثنين . ولم تكن هزيمة المسلمين في إسبانيا تمثل نهاية الصراع المقدس بين النصرانية والإسلام ، ولكنها كانت تمثل بداية الحرب الصليبية الأخيرة . فقد هزمت إسبانيا - بمساعدة الله^(٣٦) - الإسلام في إحدى مناطق البحر المتوسط وسوف تقوم قريباً - إذا حالفها الحظ - بهزيمته في الجانب الشرقي من البحر . والخطوة اللاحقة ستكون في تحرير مدينة القدس وهي المدينة المقدسة للنصرانية ، ومن ثم تلعب الكنيسة دوراً سياسياً في خدمة الله . ونقل المسلمين إلى العالم الجديد كان سيمثل تناقضاً مع هذه الأهداف .

لم تكن القدس وإسبانيا الجديدة مناطق جغرافية لا علاقة بينها ، ولكنها كانتا متحداثتين في قصة درامية أخرى ، خطط لها الله وقادت إسبانيا بتنفيذها^(٣٧) .

كانت العلاقة الحميّة بين الكنيسة والدولة واضحة في پاتروناتو ريجو-Par tronato Regio ، والتي منحت فيها إسبانيا بعض الصالحيات للكنيسة في أواخر

(35) Marzal, "Transplanted Spanish Catholicism," 144-145

(36) العبارة للمؤلف (المترجم) .

(37) Roger A. Johnson, "Inter-Religious Conflict and the Voyages of Columbus," *The Muslim World*83 (January 1993): 1-4, 15.

القرن الخامس عشر . ولذلك فقد كانت الامبراطورية الإسبانية تمثل مشروعًا تبشيريًّا . وقد تطورت ياتروناتو ريجو إلى ريجو فيكارياتو انديو Regio Vicariato De Facto Viar Indio في القرن الثامن عشر ، حيث تحول ملك إسبانيا إلى القس الذي ينوب عن روما في جزر الهند الغربية^(٣٨) .

وبالرغم من القوانين التي ستها إسبانيا ، فقد تمكَن بعض المسلمين - الذين من المستحيل إحصاء عددهم - من دخول العالم الجديد خلسة على شكل عبيد أو تجَار أو بحارة . وأراد الكثيرون من هؤلاء المهاجرين ممارسة شعائرهم الدينية بحرية في العالم الجديد . وتمكن بعضهم من القيام بذلك بشكل أو باخر في مستعمرات منطقة البحر الكاريبي^(٣٩) . في عام ١٥١٨ م اشترطت إحدى الوثائق الإسبانية أن يتم استبعاد الأفارقة المسلمين إذا قاموا بتحويل الهندو إلى الإسلام . ولكن الهندو لا يتم استبعادهم حتى ولو تحولوا إلى الإسلام^(٤٠) . ويمثل ذلك أحد

(38) Marzal, "Transplanted Spanish Catholicism," 145.

(39) Bazan, "muslim Immigration to Spanish America," 175.

(40) Clyde-Ahmad Winters, "Afro American Muslims --- From Slavery to Freedom," *Islamic Studies*, 188-189.

رسالة من الملك فيليب الثاني مارتن إنريكيوز Martin Enriques مؤرخة في ٤ يوليو ١٥٧٠ م بينت السياسية المتعلقة بالهندو الذين يتتحولون للإسلام . الفقرة التالية مقتبسة من : «Mus- lim Immigration to Spanish America», 186.

كما أنك طلبت منا أن تكون واعين لوجود مورين [اسم أطلقه الإسبان على المسلمين العرب المغاربة قدبياً ثم أصبح بعد ذلك يطلق على المسلمين عموماً إلى عهد قريب (المترجم)] في تلك الأرض (الجزيرية) والذين جاؤوا للتجارة والذين يعرفون التبشير بالإنجيل المقدس ويسبيون لكم القلق . إننا نخولك أن تستبعد هؤلاء المورين وأن تصادر ممتلكاتهم . وننصحك بأنه إذا كان هؤلاء المورين مورين بالجنسية والولادة ، وجاؤوا (إلى الجزيرية) لنشر عقيدتهم الإسلامية ، أو ليحاربوك أو يحاربوا الهندو الذين يتبعون لنا أو في خدمتنا الملكية فإن لديك السلطة لكي تسترهم . لكن الذين هم هندو في الأصل واعتنقوا العقيدة الحمدية لا ينبغي أن تسترهم بأي شكل من الأشكال . إضافة إلى أنه ينبغي عليك أن تسعى لتحويلهم أو إقناعهم بالأساليب الحسنة والمشروعة لاعتناق عقيدتنا الكاثوليكية المقدسة .

الإثباتات القديمة بأن الأفارقة كانوا ينقلون الإسلام إلى السكان الهندو الأصليين في منطقة البحر الكاريبي ومنطقة أمريكا الجنوبية . وقد عبر كل من العرش والكنيسة عن خوفهم من الإسلام «Islamophobia» .

لقد كانت السلطان المدنية والكنيسة تعارضان معاشرة شديدة التزاوج بين الأفارقة والهنود بشكل خاص . وكانت الكنيسة تخشى من أن يعزز الإفريقي صلة الهندي بالوثنية وربما ينقل له عدوى الكفر (الإسلام)^(٤١) .

سواء أكان المسلم أسود أم أبيض فقد منعت إسبانيا في عام ١٥٣١ م استيرادهم إلى جزر الهند الغربية ، وفي عام ١٥٣٢ م تم منعهم من دخول بورتوريكو ، وفي عام ١٥٤٣ م قام تشارلز الخامس Charles V بطرد جميع البربر والمغاربة من جميع المناطق الخاضعة لإسبانيا فيها وراء البحار .

اعتقد الإسبان بأن المسلمين كانوا ينشرون الإسلام في أواسط السكان الأصليين وهناك بعض الأدلة على حدوث ذلك إلى حد ما . وكان الإسبان ينظرون إلى المغاربة والبربر والعرب والموريسكيين Moriscos بأنهم يمثلون عرقة دينياً مرتبطاً بشكل وثيق بدين محمد^(٤٢) . وقد أعطى القانون الذي تم تشريعه في عام ١٥٣١ م للحاكم الإقليمي لـ Tierra Firme Friar الصلاحيات نفسها التي أعطيت في عام ١٥٠١ م إلى نيكولاوس دي أوفاندو Nicolas de Ovando وكان الحرص على إنشاء عالم نصراني واضحًا .

إن اهتماماً الأكبر هو السعي لتحويل الهندو إلى عقيدتنا الكاثوليكية المقدسة . وإذا كان تحول بعض الأشخاص إلى عقيدتنا مشكوكاً فيه - بسبب

(41) Fredirick P. Bowser, *The African Slave in Colonial Peru*, 1524-1650 (Stanford, CA: Stanford University Press, 1974), 283.

(42) Bazan, "Muslim Immigration to Spanish America," 176-177; and Clyde-Ahmad Winters, "Islam in Early North and South America," *Al-Ittihad*14 (July-October 1977): 65.

الموريسكيون مصطلح أطلق على المورين الذين تحولوا إلى النصرانية ، ولا ينطبق على الذين بقوا مسلمين حقاً ، لاحقاً أطلق هذا المصطلح على المورين عموماً. (المؤلف) .

بعض العقبات - فيجب عليكم عدم الرضى بذلك أو السماح بوجود مكان للمغاربة أو اليهود أو الضالين أو المرتدين ، أو السماح لأولئك الذين تحولوا حديثاً إلى ديننا بالخروج إلا إذا كانوا من العبيد الزنوج أو من العبيد الزنوج الذين ولدوا تحت سيطرة أتباعنا من النصارى الأصليين^(٤٣) .

لاحظ الإسبان مبكراً في عام ١٥٢٦ م وجود التمردين من السيمارونيين في منطقة هسبانيولا Hispaniola وغيرها ، وقد ساعد أولئك جميع Cimarrones أعداء إسبانيا . وكان ذلك يحدث في العادة حيث لا يوجد اللادينز Ladinos . وبيدو أنه منذ بداية الكشوفات الأوربية كان المسلمين الأفارقة يعاملون بحذر . حتى بعض الجماعات الإفريقية المعينة التي كان يُظن بأن لها روابط إسلامية والتي من المحتمل أن تقوم بالسعى للتخلص من العبودية كانت تعامل بحذر . وفي عام ١٥٤٣ م أمر تشارلز الخامس Charles V حاكم إسبانيا بطرد المسلمين من أمريكا كما أمر بتغريم من يخالف هذا الأمر^(٤٤) .

وفي عام ١٥٥٠ م صدر قرار يمنع نقل العبيد الزنوج من سردينيا Sar-dinia وما جورها Majorca ومينوركا Minorca وبعض المناطق الأخرى في حوض البحر المتوسط وذلك بحجة أنهم من المغاربة أو متزوجون منهم حتى لو كانوا من زنوج غينيا^(٤٥) .

كان أي تحذّل للنصرانية يواجه بعقوبة شديدة . فمثلاً في عام ١٥٦٠ م أدان المكتب المقدس Holy Office كلاً من بيرو Peru ولويس سولانو Luis Solano ولوب

(٤٣) المصدر السابق ، ص ١٧٩ «Terra Firme» : تقع على سواحل كولومبيا وفنزويلا .

(44) Bowser, *The African in Slave in Colonia Peru*, 148; and Bazan, "Muslim Immigration to Spanish America," 176.

بدأ إبعاد العبيد من البرير والموريين من أمريكا في عام ١٥٠٥ م بسبب عقیدتهم الإسلامية . ومنع استيراد العبيد من اللوبلو بمرسوم صدر في عام ١٥٣٢ م ، لكنهم كانوا يباعون على أية حال وفقاً

لـ : Bowser, *The african Slave in Colonial Peru*, 360.

(45) Klein, *Slavery in America*, 67, 69

دي لابينا Lope de la Pena بنشر دين محمد في كورزك Cuzco . كان والد سولانو من الإسبان وأمه سوداء بينما دي لابينا كان مغرياً من كواهالا جارا Guadalajara . وقد أعدم سولانو بينما حكم على دي لابينا بالسجن مدى الحياة^(٤٦) . وفي عام ١٥٦٥ م تم طرد جميع الولوف من تشيلي^(٤٧) لأنه كان يُظن بأن الكثير منهم مسلمون . مع ذلك فقد كان من الصعب إن لم يكن من المستحيل القضاء على الإسلام هناك .

وفي عام ١٨٤٥ م لاحظ أحد الرحالة بأن السود في بيرو كانوا لا يزالون يمارسون الإسلام ، وأنهم أيضاً كانوا يصلون لألهة أجنبية بلغتهم الأصلية ، وأنهم قاموا بتطوير النصرانية وطقوسها . وكانوا يشاركون في موكب كوازيمودو Quasimodo بعد عيد الفصح Easter متذكرين على هيئة شياطين وعماقة ، كانوا يقومون بذلك اعتماداً على عادات إفريقية^(٤٨)

في عام ١٦١٩ م سجل جون رولف John Rolfe قدوم سفينة ألمانية إلى مستعمرة فرجينيا تحمل ٢٠ من الزنوج . وكان الألمان قد خطفوا هؤلاء الأفارقة من سفينة إسبانية . وكان أمر هؤلاء الأفارقة مشكوكاً فيه ، فعلى الرغم من أنهم كانوا بعيداً دائمين للإسبان قاموا بتعذيبهم على اعتبار أنهم نصارى . وحسب القانون الإنجليزي فإن أي شخص يتم تعذيبه أو تنصيره يمكن أن يصبح حراً وأن يعامل كشخص حر . وحسب ما يرى القاضي A. Leon Higginbotham فإن القانون الإنجليزي اعتمد هذا الرأي منذ فترة بعيدة من سنة ١٦١٢ م ، وبما أن فرجينيا كانت مستعمرة إنجليزية فهي ملزمة باتباع هذا القانون . ففي قضية قريبة من ذلك في عام ١٦٢٤ م قضت المحكمة في فرجينيا بأن جون فيليب John Phillip - وهو من الزنوج - يعد مؤهلاً لتقديم الشهادة بكونه رجلاً حراً ونصرانياً ،

(46) Bowser, *The African Slave in Colonial Peru*, 66.

(47) Winters, "Islam in Early North and South America," 66.

(48) Peter Blanchard, *Slavery and Abolition in Early Republican Peru* (Wilmington, DE: Scholarly Resources Books, 1992), 99.

وذلك لأنه قد تم تنصيره في إنجلترا قبل اثني عشر عاماً^(٤٩)

كان الرأي السائد لدى الكثيرين من الأمريكان البيض هو أن الأفارقـة كانوا
وثنيـن وأن استعبادـهم هو طرـيقـة نصرـانـية لإنـقـاذ أرواحـهم . وفي رأـيـم فإنـ
مشاركة الأفارقـة في ممارـسـاتـ الـوثـنيـنـ أـثـنـاءـ طـقوـسـ عـبـادـتـهـمـ ،ـ كانـ منـ الأـسـبـابـ
الـتـيـ تـبـرـرـ استـعبـادـهـمـ .ـ فـيـ عـامـ ١٦٦٧ـ مـ نـاقـشـتـ جـمـعـيـةـ فـرجـينـيـاـ Virginia assemblyـ
هـذـاـ المـفـهـومـ وـأـقـرـتـ سـنـ القـانـونـ رقمـ ٣ـ Act IIIـ .ـ وـبـحـلـولـ عـامـ ١٧٠٦ـ مـ أـقـرـتـ كـلـ
مـنـ وـلـاـيـةـ مـارـيـ لـانـدـ Marylandـ وـشـمـالـ كـارـولـيـناـ North Carolinaـ وـجنـوبـ كـارـولـيـناـ
وـنيـويـورـكـ New Jerseyـ وـنيـوجـرسـيـ South Carolinaـ New Jerseyـ بـالـمـبـادـيـءـ التـيـ وـرـدـتـ
فـيـ هـذـاـ القـانـونـ .ـ وـبـنـاءـ عـلـىـ القـانـونـ رقمـ ٣ـ فـإـنـ التـنـصـيرـ لـاـ يـؤـثـرـ عـلـىـ استـعبـادـ السـوـدـ
أـوـ الـهـنـودـ .ـ وـقـدـ وـرـدـ فـيـ هـذـاـ القـانـونـ ماـيـلـيـ :

... تم إقرار أن التنصير لا يغير من حالة الشخص من حيث سلب حريته ، يمكن للسادة الذين لا تساورهم هذه الشكوك الدعوة إلى النصرانية بحذر أكبر بالسماح للعبيد بالدخول إلى ذلك السر المقدس^(٥٠).

بـهـذـاـ كـانـ باـسـطـاعـةـ النـصـارـىـ الـذـيـنـ يـقـتـنـونـ العـبـيدـ تـنـصـيرـهـمـ دونـ أـنـ يـخـشـواـ
أـنـ يـعـتـقـواـ ،ـ وـأـصـبـحـ منـ وـاجـبـ النـصـارـىـ تـنـصـيرـ العـبـيدـ حـتـىـ يـتـمـ تـطـهـيرـ أـرـواـحـهـمـ
وـتـنـقـيـتهاـ .ـ وـكـانـ الـفـسـادـ المـفترـضـ لـلـأـفارقـةـ مـنـ النـاـحـيـةـ الـدـينـيـةـ قـدـ جـعـلـهـمـ هـدـفـاـ
قـانـونـيـاـ لـإـعادـةـ التـأـهـيلـ الروـحـيـ منـ خـلـالـ الرـحـماتـ الـخـنـونـةـ لـلـاستـعبـادـ .ـ هـذـاـ إـلـىـ
جـانـبـ أـنـ النـصـارـىـ كـانـواـ يـعـدـونـ إـلـىـ إـلـاسـلامـ الـمـؤـامـرـةـ الـكـبـرـىـ لـلـكـفـارـ .ـ وـبـتـنـصـيرـ
الـعـبـيدـ مـعـ دـعـمـ تـحرـيرـهـمـ أـصـبـحـ مـمـكـنـ التـقـرـبـ إـلـىـ اللهـ وـتـحـقـيقـ الـرـبـحـ مـعـاـ^(٥١).

(49) A. Leon Higginbotham, Jr., *In the Matter of Color: Race and The Colonial Legal Process: The Colonial Period*(New York: Oxford University Press, 1978), 20-21.

(50) Ibiad.; and Benjamin Quarles, *The Negro in the Making of America*(New York: Collier Books, 1964), 36.

(51) Bennett, *Before the Mayflower*, 46; and C. Eric Lincoln, *Race, Religion, and American Dilemma*(New York: Hill and Wang, 1984), 156.

ومع أن النفوذ الإفريقي الإسلامي لم يصمد كثيراً في عهد العبودية ، وأن الحملة الأساسية لهذه التقاليد قد كانوا يعتمدون على كتابات المفكرين من أمثال إدوارد ويلمونت بليدين Edward Wilmont Blyden وهو من المدافعين عن الإسلام الإفريقي في أواخر القرن التاسع عشر . ولكن قادة الحركة الإسلامية الأولى Proto-Islamic Movement هم الذين مهدوا الطريق نحو قبول أوسع للإسلام ، كان ذلك أثناء حركة الهجرة إلى المدن التي قام بها السود في القرن العشرين^(٥٢) .

بداية دخول الإسلام إلى الأمريكتين :

لا يعلم أحد متى وصل أوائل المسلمين إلى الأمريكتين ، ولكن يبدو أنهم قد وصلوا بالتأكيد مع أوائل المكتشفين الأوروبيين ، إن لم يكن قبلهم . ورحلة كولibus نفسه ربما قد تأثرت بالعالم العربي الإدرسي ، والذي كان مستشاراً للملك روجر Roger ملك صقلية في القرن الثالث عشر . ووفقاً لما ذكره أحد المؤرخين ، فإن كولibus كان معه على ظهر السفينة نسخة من كتاب الإدرسي الذي يتحدث فيه عن اكتشاف بلاد جديدة بواسطة ثانية من المكتشفين المسلمين . وكان معه أيضاً على ظهر السفينة مترجم لقراءة تلك الوثيقة وهو عربي مرتد تحول إلى الكاثوليكية يسمى لويس توريز Louis Torres^(٥٣) . وتتحدث

(52) C. Eric Lincoln and Lawrence H. Mamiya, *The Black Church in the African American Experience* (Durham, NC: Duke University Press, 1990), 389.

(53) Lansine Kaba, "Americans Discover Islam through the Black Muslim Experience," in *Islam in North America: A sourcebook*, eds. Michael A Koszegi and J. Gordon Melton (New York: Garland Publishing, 1992), 25-26.

وفقاً لما يقوله العالم روڤائيل جيفارا بازان Rafael Guevara Bazan، فإن أول رجل أبصر وجود أرض جديدة أثناء رحلة كولibus الأول هو لوزريق ساتشرز Rodrigo Sanchez (Rodrigo de Triana)، وهو رجل بحار من ليپ Lepe، وقد أصبح مسلماً. وبعد عودته إلى إسبانيا حول ولاءه الديني وذلك لأن كولibus لم يقدره تقديرًا كافياً ولم يمنحه من أموال الملك . وبالرغم من أن السبب المذكور ربما لا يكون حقيقياً فإن الوثائق التي تتحدث عن قصة تحوله موجودة في : Bazan's "Some Notes for a History of the Relations Between Batin America, The Arabs and Islam" *The Muslim World* 61 (Octobdr 19711): 289.

الروايات الإسلامية عن وصول المغاربة إلى العالم الجديد قبل كولومبوس بفترة طويلة ، ولكن يبدو أن القليل منهم كان في الولايات المتحدة قبل الخمسينات من القرن التاسع عشر ، ما عدا الآلاف من العبيد القادمين من غرب إفريقيا .

كان العديد من المسلمين الذين تم استعبادهم على درجة عالية من التعليم والمعرفة باللغة العربية . وكان هؤلاء المسلمين الأفارقة من السنة التابعين للذهب الإمام مالك ، وبالرغم من أنهم كانوا يتكلمون لغات محلية متنوعة إلا أنهم كانوا يستطيعون التفاهم مع بعضهم البعض بواسطة تلاوة بعض الأدعية والصلوات والأقوال المأثورة باللغة العربية .. لقد ضغطت عمليات التبشير الشديدة التي قام بها النصارى البروتستانت على العبيد من غير النصارى بما فيهم المسلمين من أجل ممارسة دينهم في الخفاء وبشكل غير منتظم ، وذلك خلال القرن التاسع عشر ، وبذلك فإن عددًا قليلاً من الشعائر الإسلامية أمكن الحفاظ عليها خلال فترة العبودية واستمرت هذه الشعائر بين الأمريكيين السود حتى الوقت الحاضر ^(٥٤) .

وعلى سبيل المثال ، فإن البعض يعتقدون بأن هناك دليلاً على أن المسلمين القادمين من إسبانيا وغرب إفريقيا قد وصلوا إلى أمريكا الجنوبيّة في القرن العاشر الميلادي ^(٥٥) .

كان من بين أوائل الوالصليين اصطفان العربي *Istifan the Arab* . وهو مغربي كان مرشدًا للراهب الفرنسيسكاني *Franciscan Car* كارلوس دي نيزا- *Carlos de Niza* ، وقد أرسله في عام ١٥٤٩ م إلى إسبانيا الجديدة لاكتشاف ما يُعرف الآن بولاية أريزونا ^(٥٦) .

كان اصطفان هو الشخص نفسه الذي يشير إليه المؤرخون بـ استيفانيكو (ستيفن الصغير) *Estevanico (Little Stephen)* ، وهو المكتشف الأسود القديم

(54) Imtiyaz Yusuf "Islam in America: A Historical-Social Perspective," *Hamdard Islamicus* 4 (Winter 1989): 80.

(56) Nadim Makdisi, "The Muslims of America," *The Christian Century* 34 (August 1959) 669.

الذى قاد الإسبان إلى نيو مكسيكو New Mexico وأريزونا Arizona وقد ولد في أزمرور Azmore في المغرب في حوالي عام ١٥٠٠ م وربما كان قد أسر في عام ١٥١٣ م عندما سيطر الملك مانويل Manoel البرتغالي على المدينة . وقد كان أحد الكشافة التابعين لپانفيلو دي نارفيز Panfilo De Navvaez وكابيذا دي فاكا Cabeza de Vaca ، وفي عام ١٥٣٨ م خرج باحثاً عما يسمى بـ Cibola أو مدن الذهب السبع كقائد للكشافة . ويعتقد البعض بأن هذا المسلم الإفريقي قد قتل على يد أعضاء غير رسميين من جماعة زوني Zuni Nation^(٥٧) . كان بعض العبيد الذين وصلوا إلى أمريكا في العشرينات من القرن السادس عشر قد جاؤوا من سنيغامبيا . وهؤلاء كانوا يرفضون أكل لحم الخنزير أو شرب البيرة^(٥٨) . وقد ذكر المؤرخ سي . إريك لنكولن C.Eric Lincoln . أنه قد وجدت عادات وتقالييد خاصة بال المسلمين السود في الأيام الأولى من اكتشاف أمريكا .

لماذا سمي بالإسلام الأسود ؟ أولاً : لأن السود المسلمين والمغاربة موجودين بين الإسبان الفاتحين هم أول من أدخل الإسلام إلى العالم الجديد . ثانياً : لأن وجود الأوروبيين المسلمين في أمريكا كان محصوراً في تجمعات صغيرة لعقود طويلة ، وكان وجودهم يتسم بالهدوء والتقطيع وليس بالانتشار والظهور والمشاركة العامة^(٥٩) .

أوضاع العبيد المسلمين في الأمريكتين :

كان عدد العبيد المسلمين قليلاً جداً ، وقد يصل إلى نسبة ٢٠٪ من عدد السكان في بعض المزارع الجنوبية . وقدرت دراسة حديثة أن ١٠٪ من الذين تم استعبادهم من غرب إفريقيا وإرسالهم إلى الولايات المتحدة ما بين عامي

(57) Mary H. Cooper, "Muslims in America," *CQ Researcher* 3 (April 30, 1993: 369; and William Loren Katz, *Black Indians: A hidden Heritage* (New York: Atheneum, 1986), 90-94.

الروني : قبيلة من المندن الحمر الأمريكيين تقيم في الجزء الغربي من ولاية نيومكسيكو المترجم).

(58) Kaba, "Americans Discover Islam," 26.

(59) Lincoln, *Race Religion, and the Continuing American Dilemma*, 157.

١٧١١ م و ١٨٠٨ م كانوا من المسلمين بشكل أو بآخر . هذه النسبة يمكن ترجمتها إلى حوالي ٣٠٠٠ مسلم . ولا يشمل هذا العدد أولئك الذين تم إرسالهم إلى جزر الهند الغربية West Indies أو البرازيل أو المناطق الأخرى^(٦٠) . ولم يكن أحد يعرف عدد المسلمين العبيد لأن الأسياد لم يكونوا مهتمين أبداً بتوثيق المكتسبات الثقافية والروحية لمن يمتلكونهم^(٦١) . ويعتقد أحد الباحثين بأن عددة آلاف قد أحضروا إلى أمريكا وحدها ، بينما يرى الآخرون بأن عددهم كان أقل من ذلك . ومع ذلك فإن مؤرخاً آخر يرى أن ٣٠٪ من الأفارقة الذين استعبدوا في أمريكا كانوا مسلمين^(٦٢) .

العدد القليل نسبياً من المسلمين - لا توجد لدينا إحصائية معتمدة - الذين أحضروا إلى أمريكا الشبهالية كعبيد كانوا يتمسكون بشباث بشعائرهم وممارساتهم الدينية التي امتازت بكونها منظمة بدرجة كبيرة . وكانت هذه الشعائر الدينية تدعوا إلى إظهار الحرص العام على الإخلاص والعبادة ، مثل الصلاة إلى الله خمس مرات في اليوم ، وعدم أكل لحم الخنزير ، وكانت تمثل أيضاً أحد مصادر القوة الرئيسية بالنسبة للعبيد . كان المسلمون يتعرضون للهزة والإيساعة من قبل الأسياد بسبب هذه الممارسات ، ولكن هذه العادات الراسخة قد استمرت إلى يومنا هذا في بعض القطاعات من الحاليات السوداء^(٦٣) .

(60) Miler and Smith, *Dictionary of Afro-American Slavery*, 370; and Lincoln, *Race Religion, and the Continuing America Dilemma*, 155.

كان عدد كبير من المسلمين العبيد في البرازيل قد قدموا من مملكة بنين Benin الواقعة في منطقة تجوجو الكاميرون . وكانت بنين مزدهرة ما بين القرنين الثالث عشر والسابع عشر ، وعندما بدأت تجارة العبيد تدمرت الامبراطورية . كان أهل بنين مهروءة في أعمال الحديد والذهب والبرونز وكانوا متقدمين جداً في علم المعادن أورد ذلك :

Benjamin Nunez, *Dictionary of Afro-Latin America Civilization*(Westport, CN: Greenword Press, 1980), 68.

(61) C. Eric Lincoln, "The Muslim Mission in the Context of America Social History," in *African America Religious Studies: An Interdisciplinary Anthology*, ed. Gayraud Wilmore (Durham, NC: Duke University Press, 1989), 342.

(62) M. Arif Ghayur, "Muslims in the United States: Settles and Visitors," *Annals of the American Academy of Political and Social Science*454 (March 1981): 152; and Y. N. Kly, "The African-American Muslim Minority: 1776-1900," *Journal Institute of Muslim Minority Affairs* 10 (January 1989): 153.

(63) Leslie Howard Owens, *This Species of Property: Slave life and Culture in the Old South* (New York: Oxford University Press, 1976), 160.

اتخذ بعض الأسياد من عندهم من العبيد المسلمين سائقين ومدراء للمزارع أو في موقع أخرى تحتاج إلى الثقات . وكانوا يعتقدون - كما كان يعتقد العديد من الأوروبيين مدراء المستعمرات في غرب إفريقيا - بأن المسلمين السود هم أكثر أهلاً للثقة وأكثر نجابة من الأفارقة الآخرين ^(٦٤) . وكان بعض الأسياد يخشون من أن يقوم المسلمون العبيد بتقويض النظام ، ولم يكن هذا التخوف بدون أساس ، ذلك لأن بعض المسلمين العبيد كانوا يقومون بالتمرد ^(٦٥) . وفي بعض الأحيان ، كان الإسلام هو الدافع والمحرك للثورة والمقاومة في البرازيل وسانت دومينجو (هايتي) Sain Domingue (Haiti) وسورينام وغيرها من المناطق في العالم الجديد . كانت سانت دومينجو مستعمرة فرنسية مهمة بالقرب من جامايكا - وتعد جزءاً من منطقة جزر الهند الغربية West Indies الفرنسية ، والتي كانت تعرف أيضاً بجزر الأنتيل Antilles الفرنسية . وكانت مسرحاً لثورة كبيرة قام بها العبيد في عام ١٧٩١ م . وفي عام ١٨٣٥ م قام المئات من العبيد الأفارقة المسلمين بمواجهة الجنود والمدنيين في شوارع السلفادور عاصمة ولاية باهيا Bahia في البرازيل . كان المسلمين البرازيليون يسمون بـ الماليين أي القادمين من مالي . ربما يرجع الأصل في هذه التسمية إلى المسلمين المانديين في البرازيل أو أنه اشتق من المصطلح اليوروبي Yoruba إميل Imale . هؤلاء المسلمين كانوا يجدون اتباع المسلمين السنة في شعائرهم ^(٦٦) .

كان المسلمين في البرازيل . . . يعرفون بـ الألوفين Alufos في ريو دي جانيرو وبالماليين في ولاية باهيا . وكانوا يعبدون الله أو أولورم - أولوا Olorum-ulua (وهي عبارة عن دمج بين الكلمة الله العربية وكلمة الأعلى بلغة اليوربا Yoruba وهي Olorum) . وكان لديهم مساجد تستعمل أيضاً كمساكن للأئمة . كان الألوفين Alufos يتزعمهم الليسانو Lessano ، يساعده اللادانو Ladano أو ما يسمى بالقندافت Sacristan عند

(65) Eugene D. Genovese, *From Rebellion to Revolution: Afro-American Slave Revolts in the Making of the Modern World* (Baton Rouge: Louisiana State Press, 1979), 29.

(66) Winters, "Afro-American Muslims," 188.

النصارى . وكانوا يصلون خمس مرات في اليوم .. كان المسلمين في باهيا يسمون ذلك إقامة الصلاة *Fazer Sala* . كان المسلمين في البرازيل أيضاً يطهرون أولادهم ويسمون ذلك كولا *Kola* ويصومون شهر رمضان *Assumy* من كل عام^(٦٧)

ربما كان الماليون يرغبون في إقامة خلافة في ولاية باهيا ، ولكنهم كانوا أيضاً بحاجة إلى مشاركة غير المسلمين معهم في الجهاد غير المقدس بالنسبة لهم . كانت انتفاضة الباهيين هي الانتفاضة الرئيسية الثالثة على الأقل في تلك المنطقة ، وقد سبقتها ثورات وتمردات في عام ١٨٠٧ م و ١٨١٣ م و ١٨١٦ م و ١٨٠٩ م و ١٨٢٦ م و ١٨٢٧ م و ١٨٣٠ م^(٦٨) . وعلى الرغم من أن الإسلام قد هيأ لهم القيادة فإنهم كانوا مازالون بحاجة إلى تضامن الطوائف الإفريقية الأخرى بغض النظر عن توجهاتهم الدينية التي ربما كانوا يشيرون إليها عادة بأنها ضرب من السحر أو الدنس .

كان الماليون يتزعمون كتلة التمرد ، ولكنهم لم يكونوا الوحيدين . كان رجال الطليعة من الماليين هم المسؤولون عن إثارة وبداية التمرد ، ومن ثم يتم حشد مجموعة أخرى من زملائهم وأتباعهم والمعاطفين معهم في ساعات قليلة أو عند اشتداد المعركة . وكان عامة الناس ينضمون إلى التمرد لحظة حدوثه : حيث يخرجون إلى الشوارع عند سماعهم الضجيج ويبحثون عن مصدره لعرفة ما يحدث ومن ثم يشاركون فيه^(٦٩) .

وفيما يبدو كان العوام من طائفة الهوسا *Hausa* واليوروبا *Yoruba* في إفريقيا من أكثر المسلمين حماساً . ففي أوائل القرن التاسع عشر ازداد تعدادهم ليصبحوا أكثر عدداً من المسلمين المانديين . مصطلح الهوسا كان مصطلحاً عاماً

(67) Winters, "A Survey of Islam," 430.

(68) Genovese, *From Rebellion to Revolution*, 30.

(69) Joao Jose Reis, *Slave Rebellion in Brazil: The Muslim Uprising of 1835 in Bahia* (Baltimore: The Johns Hopkins University Press, 1993), 123.

يطلق على العبيد من جماعات وطوائف متنوعة أحضروا من شمال نيجيريا ليصبحوا فيما بعد قادة التمرد والعصيان . كان المسلمين في إفريقيا قد اخترقوا أراضي الموسا في القرن الرابع عشر وأنشأوا مراكز تعليمية مع حلول القرن السابع عشر . ولم يعتنق معظم السكان الإسلام إلا بعد أن سيطر الفولانيون على أرضهم في أوائل القرن التاسع عشر ، هذا على الرغم من أنهم كانوا على معرفة جيدة بهذا الدين لفترة طويلة ^(٧٠) .

قبائل اليوروبيا Yorubas - الذين كانوا يسمون بالنيجوس Nagos في البرازيل - قاوموا نفوذ كل من الموسا والفوولي في إفريقيا ، ولكن يبدو أنهم قد صاروا مسلمين في البرازيل . وتناسوا جميع المنافسات القديمة التي كانت بينهم في فترة العبودية حيث إنهم حاولوا العمل معًا بشكل جماعي من أجل التغلب على الكفار . لقد شكل السود الأحرار منهم والعبيد وكذلك الموسويون Hausas واليوروبيون Yorubas المسلمين وغير المسلمين بالإضافة إلى الهند شكلوا جيئاً تحالفاً كان يهدد استقرار ولاية باهيا ^(٧١) .

هؤلاء السود - المتمون للإسلام - كانوا هم المسؤولون بشكل كبير عن انتفاضة العبيد في المقاطعة البرازيلية باهيا . . . كان للموسويين جمعيات سرية قوية مثل الأغبني Ogboni والتي كانت تعمل بنفس طريقة مثيلاتها في غرب إفريقيا . وكانت لغتهم تستخدم في باهيا طوال القرن التاسع عشر وربما الثامن عشر أيضًا وعلى الرغم من قلة عددهم فإن نفوذهم كان كبيراً ^(٧٢) .

الأغبني جماعة دينية خاصة ، كانت مقصورة على الرجال كبار السن في مدن ولاية يوروبيا Yoruba . وكل جماعية دينية مثل الأغبني والإفا Ifa كان يقودها

(70) Genovese, *From Rebellion to Revolution*, 31.

(71) المصدر السابق .

(72) Benjamine Nufiez, *Dictionary of Afro-Latin American Civilization* (Westport, CN: Greenwood Press, 1980), 228.

مجموعة من رجال الدين بتنظيم هرمي ، كان بعض هؤلاء من القادة السياسيين المهمين . وكانوا يقومون بالوساطة بين الألافين Alafin - ويمثل نظرياً الحاكم المطلق والملك الأعلى - وبين الأيوبيسي Oyo Mesi - وهم الرؤساء الرئيسون غير الملكيين في المجلس . وكانت أيو Oyo أكثر مدن ولاية يوروبيa Yourba سكاناً . وكان واضحأً أن الألافين لم يكن لديه السلطة المطلقة على الأيوبيسي ، مما أعطى الأغبني دوراً علي النفوذ في السلطة . وعندما نقلوا إلى العالم الجديد استمرت جماعة الأغبني بلعب دور قوي في بعض التجمعات بما فيها تلك الموجودة في ولاية باهيا⁽⁷³⁾ .

سمح البرتغاليون في ولاية باهيا للأفارقة الذين يتتمون لنفس الطائفة بالعيش في مناطق خاصة سميت أمم Nations ، أو كابيتانياز Capitanias والتي كانت تتكون من أفراد من القبيلة نفسها . ولقد انتشر الإسلام من هذه القواعد إلى جميع مناطق البلد على شكل طوائف وجماعات سرية . وقام الأئمة الذين قدموا من إفريقيا وأولئك الذين ولدوا في البرازيل بتعليم اللغة العربية للامريذهم وكذلك القرآن وأحكامه . في مناطق الأمم Nations الموجودة في الهوسا واليوروبيا قاموا بإنشاء مدارس خاصة في بيوت القادة الدينيين .

لقد هيأت الثقافة الإفريقية القبلية واللغة والدين المشترك الرابطة الضرورية لتنظيمهم ومنحهم الدافع للمقاومة ، وهذا ما كان مفقوداً بشكل كامل تقريباً بين العبيد في الولايات المتحدة . وكانت الوثائق التي تم ضبطها لدى الثوار في البحرين Bahrain في عام ١٨٣٥ م مكتوبة بخط عربي مما كان له مدلول كبير . ومع أنه كان هناك بعض الشكوك في كون هذه الشورات ذات أساس ديني ، فإنه كان واضحأً أن عدداً كبيراً من قادتها كانوا مسلمين⁽⁷⁴⁾ .

وبعد فشل التمرد ، وجدت الشرطة أوراقاً ولوحات كتابة مليئة بالكتابة العربية . كان الملايون يكتبون على الألواح الخشبية بالحبر المصنوع من الأرز

(73) George Brandon, *Santeria from Africa to the New World; The Dead Sell Memories* (Bloomington: Indiana University Press, 1993), 21.

(74) Carl N. Degler, "Slavery in Brazil and the United States: An Essay in Comparative History," In *Balcks in White America Before 1865*, ed. Robert V. Haynes (New York: David McKay, 1972), 183; and Winter, "A Survey of Islam," 430.

المحروق . لقد سبب اكتشاف مجموعة متعلمة من العبيد - في مجتمع يتسم بالأمية بشكل كبير - ذعراً كبيراً . وهذا أشار إلى أنهم كانوا من المثقفين والمفكرين في إفريقيا . ولقد كان من المزعج أيضاً حقيقة أن المتحولين (لإسلام) كانوا يعلمون الكتابة والدين الإسلامي بتدربيهم على كتابة آيات من القرآن⁽⁷⁵⁾ .

لقد كانت الإشارة للنساء في طقوس الماليين والمناسبات الإسلامية نادرةً ، وذلك بسبب التوجه البطريركي للإسلام . وكما هو حادث في الحياة بشكل عام ، فإن الشكل الذي يجب أن تكون عليه الأمور والشكل الذي هي عليه فعلاً قد يكونان مختلفين تماماً . هكذا كان الوضع عاماً بالنسبة للإسلام ، وفي ولاية باهيا بشكل خاص . ولكن كانت هناك بعض الحالات الشاذة مثل لوينزا ماهين Luiza Mahin وهي شخصية مرموقة في ثورة ١٨٣٥ م ، وكانت معروفة بميراثها الملكي وتم انتخابها كملكة في جالية السود التي كانت تتمنى إليها⁽⁷⁶⁾ .

وفي عام ١٨٣٥ م وما بعده ... قامت أمّة اسمها إميركيانا Emereciana بإعطاء خواتم خاصة بالماليين تعبرأ عن الجدارة والأهلية للمتمميين الجدد ، وقد تم الحكم عليها بسبب نشاطها هذا بالجلد ٤ جلدة . كانت أميركيانا حالة استثنائية ، ولكن مع مرور الوقت أصبحت النساء أكثر انخراطاً ونشاطاً في النشاطات الإسلامية . وقد اعتبرهن كويرينو - الخبر في الأنساب - منخرطات بشكل كامل فيما أطلق عليه الجماهير المالية Male Masses . وفي ريو دي جانيرو في نهاية القرن التاسع عشر أيضاً ، شاركت النساء في الجنائز ، ولكن يأكلن ويرقصن في جو إسلامي أكثر انفتاحاً وتنوعاً⁽⁷⁷⁾ .

(75) Reis, *Slave Rebellions*, 106-107.

(76) William d. Piersen, *Black Legacy: America's Hidden Heritage* (Amherst: The University of Massachusetts Press, 1993), 85.

(77) المصدر السابق ، ص ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١٠٨ .

الخواتم المذكورة كانت تلبس في الإبهام بالإضافة إلى الأصبع الثالث أو الرابع كإشارة سرية لمعرفة المتمميين . وكان من عادات الأفارقة أن يضرب من يلبس الخاتم خواتمه بخاتمه من يقابلة من المسلمين تحية له . (المؤلف) .

يبدو أن الثقافة الإسلامية قد تمكنت من المحافظة على بقائها بعد إلغاء البرازيل لل العبودية ، ولكنها ضعفت بين تجمعات العبيد السود في الولايات المتحدة . وحتى في القرن العشرين استمرت المدارس في ولاية باهيا في تعليم الدراسات الإسلامية والعربية (٧٨) .

كان بعض المشرفين على العبيد يعتقدون بأن المسلمين كان لهم تأثير مشوّش على إدارة شئون العبيد بشكل يماثل تأثير أي شخص ينضب نفسه قائداً روحياً للعبد . ولكن الآخرين كانوا يشعرون بأن العبد يقي عباداً سواء كان مسلماً أو غير ذلك . قام النظام المسيطر على العبيد باستعراض فئة المسلمين المتعلمين الأسرى في محاولة للكشف واستغلال الفوارق الثقافية بينهم وبين غيرهم من الرقيق . ولكن هذا النوع من المزء والسخرية كان غالباً ما يُخفى التخوفات بأن هذه الفوارق يمكن أن تؤدي إلى أعمال مقاومة . تلك المقاومة التي كان يعزّزها المفهوم الإسلامي بأن الخضوع للسيد النصراني الكافر هو أعظم خيانة لله ولنفسه (٧٩) .

كانت هايتي هي إحدى المناطق الأخرى في العالم الجديد التي اكتسب فيها الإسلام موطن قدم . وقد أدخل العبيد من داهومي والسنغال ذلك الدين وحفظوه على الرغم من الجهد الإسبانية لمنع انتشاره بطرق قانونية . في عام ١٧٥٨ م حدث أمر كبير وخطير لشخص يسمى ماكاندال Mackandal - وهو عبد مسلم ولد وتعلم في غينيا - كان نتيجة هذا الأمر أن تم حرق ماكاندال وهو حي . زيادة على التأثير الديني على الهايتيين فإن لغتهم الأم تحتوي على نسبة تصل إلى ١٠٪ من الألفاظ العربية - الإفريقية Afro-Arabisms ، معظمها من أصول سودانية (٨٠) .

(78) Winters, "Afro-American Muslims," 197.

(79) Owens, *This Species of Property*, 160.

(80) Bazan, "Some Notes for a History of the Relations Between Latin American, the Arabs, and Islam," 290.

عاش المسلمون في الكثير من جزر الهند الغربية بما فيها جامايكا . وفي العالم الجديد كانت البرازيل هي الوحيدة التي حدثت فيها ثورات للعبيد أكثر عدداً وشدة من تلك التي حدثت في جامايكا . كان متوسط عدد المشاركين في الثورات التي حدثت في القرن السابع عشر والثامن عشر يبلغ ٤٠٠ شخص . وبالمقارنة مع الثورات الكبيرة نسبياً التي كان تحدث في الولايات المتحدة فإن عد المشاركين كان حوالي ٧٠ من العبيد . وقد شارك في أخطر ثلاث ثورات - وهي حرب المارون الأولى Maroon وتعدد عام ١٧٦٠ م وقعد عام ١٨٣٢ م - أكثر من ألف من العبيد . العبيد من الأكان Akan أو الموس Mossi Akan ، وهمأعضاء من الجماعة الناطقة بلغة الأكان على ساحل العاج وغانا (بها فيهم الأشانتي Ashanti) أثاروا وقاموا بمعظم الثورات^(٨١) . والعديد من هؤلاء كانوا مسلمين .

وقد تم استرقاق جماعات أخرى من المسلمين الأفارقة في جامايكا بما فيهم المانديين . وكانوا يعيشون مع جاليات المارون Maroon في جامايكا ، وربما كانوا من قادة أكثر الثورات هناك . وبالقرب من بلدة مانشينيل Manchinul قرب الميناء ، كانت هناك جالية تسمى جالية الـ مورتاون Moortown ، مما يشير إلى احتمال أن يكون المسلمين قد عاشوا هناك قبل تهجير معظم المارون . ترينيداد وتوباغو كان فيها أيضاً جاليات إسلامية نشطة . وقد اعتنق العديد من أهل ترينيداد الإسلام في الأربعينات من القرن الثامن عشر وقبل إحضارهم للعمل في مزارع السكر في السبعينيات من ذلك القرن . ومع حلول عام ١٨٠٢ م وصل عددهم إلى ٢٠٠٠ . وفي أوائل القرن التاسع عشر شكل أهالي ترينيداد جمعية إسلامية للمتعلمين من العبيد المحررين . وفي الثلاثينيات من القرن التاسع عشر ، كان يوجد في منطقة ميناء إسبانيا Port-of-SPain جالية من المسلمين المانديين الذين أسروا في السنغال . وكان قائدهم محمد بث Mohammad Beth قد اشتري حريته ، وقد حافظت هذه الجالية على هويتها الدينية وكانت دائمًا

(81) H. Orlando Patterson, "The General Causes of Jamaican Slave Revolts," in *Slavery in the New World*, Laura Foner and Eugene D. Genovese, eds. (Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall, 1969), 211-213.

تصبو للعودة إلى إفريقيا . كان العديد منهم من الصناع المهرة الذين قاموا بعد الحصول على الحرية بتأسيس أعمال خاصة بهم وفتح محلات تجارية ومن ثم جمعوا أموالاً لتحرير أصحابهم [إخوانهم] المسلمين من العبودية . كما أسس بعضهم مدارس لتعليم أولادهم القرآن .

في كوبا مارس الإسلام عدد كبير من الفولانيين والمانديين والولوف . وكما حدث في البرازيل ، فإن المسلمين في كوبا كان يعبدون الله بإضافة كلمة الأعلى بلغة اليوروبية وهي Olorum إلى كلمة الله لتكون كلمة أولورم - Olorum-ulua . وقد تم حذف كلمة أولورم لاحقاً واستبدلت بكلمة أوبياتا Obata لتصبح المعنى إله السماء ^(٨٢) Obbat Allah .

قدم أوائل المسلمين إلى جويانا من الساحل الغربي لإفريقيا . وحاول كلّ من الهولنديين (الذين حكموا المنطقة في القرن السابع عشر) والبريطانيين (الذين سيطروا عليها في عام ١٨١٥ م) جدهم للتأكد من أن الفولانيين العبيد لن يمارسوا دينهم . ونجح البريطانيون على الأقل بشكل جزئي بقوتهم لأهل جويانا بأن الهند الشرقيين فقط هم الذين كانوا مسلمين ، وبجعلهم النصرانية الطريق الأساسي للحركة الاجتماعية ^(٨٣) .

استطاع المسلمون الأفارقة الاتصال ببعضهم البعض بطريقة سرية في أمريكا الأولى . وذلك لأن الكثير منهم كانوا يتكلمون ويكتبون باللغة العربية . نشر في عام ١٨١١ م كتاب بعنوان القواعد العملية لإدارة العبيد الزوج *Practical Rules For the Management and Medical Treatment of Neger Slaves* ومعالجتهم صحيحاً . وذكر مؤلفه أن بعض الأفارقة وخاصة القادمين من السنغال كانوا يستطيعون قراءة العربية وكتابتها ^(٨٤) . ويبدو أنه قبل القرن التاسع عشر كان هناك معرفة عامة بوجود مسلمين من العبيد . في عام ١٧٩٠ أثر المشروع في

(82) Winters, "A survey of Islam," 432-433; and Luxner, "Muslims in the Caribbean," 5-6.

(83) Luxner, "Muslims in the Caribbean," 7-8.

(84) Douglas Grant, *The Fortunate Slavery in the Early Eighteenth Century* (New York: Oxford University Press, 1968), 81.

ولاية جنوب كارولينا South Carolina بمنح وضع خاص لمجموعة خاصة من الناس هم المسلمين المطالبون باعتبارهم رعايا تابعين لسلطان المغرب (العاهل الذي اعترف بالولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٧٨٧ م)^(٨٥) . وبعد أوائل القرن التاسع عشر ولد العديد من العبيد ولم ينعموا بالتعليم الإسلامي . حيث قللت عمليات التنصير من ذلك الميراث الإسلامي . وغالباً ما يجد الأمريكيان السود الذين يتبعون سلالة نسبهم أنه يوجد مسلمون من بين أجدادهم . كما أن التاريخ الشفهي (غير المكتوب) للعبيد السابقين يذكر أعرافاً إسلامية .

النصوص العربية الباقيه والتي كتبها مسلمون قبل الحرب الأهلية وكذلك بعض المراجع المتأثرة لمؤلفين أوروبيين في الفترة نفسها تؤكد إلى حد كبير الوجود الإسلامي الكبير في جنوب الولايات المتحدة^(٨٦) .

نماذج من العبيد المسلمين في الأمريكتين :

١ - بو الله :

بو الله Bu Allah كان أحد الأمثلة وأشهر السائقين المسلمين ، وهو الرجل المسؤول عن مزارع توماس سبالدينج Thomas Spalding في جزيرة سايلو . ولد بو الله في غرب السودان ونشأ مسلماً واستمر في ممارسة دينه أثناء الأسر . كان ينحني على سجادة مصنوعة من جلد الحروف مصلياً باتجاه الشرق . تعلم هو وأسرته اللغة الانجليزية ولكنهم استمروا في الحديث بلغة إفريقيبة فيها بينهم . بناءً على رواية أخرى فإن بو الله رغم أنه ولد في إفريقيا فإنه قد ورث دماً عربياً . كان يحتفظ بمذكرات باللغة العربية لم يكن بإمكانه أحد أن يفك طلاسمها ، مما أدى إلى إضفاء جو من الغموض حول تلك المزارع البطيريكية

(85) Kaba, "Americans Discover Islam," 26-27.

(86) Yusuf, "Islam in America," 80.

وتعمق هذا الغموض مع مرور السنين ولم يزل يثير التخيلات حتى يومنا هذا . بوالله كان له اثنا عشر ولداً وسبع بنات . كان يظهر وكأنه متعجرف ولكنه كان رجلاً خارق الذكاء يحتفظ بسجلات المزارع باللغة العربية .

عندما نزلت قافلة بريطانية على سواحل جزيرة سايلو Sapelo في عام ١٨١٣ م ، قام سباليدينج بتسلیح وتدریب العبيد الذين يملکهم لصد هجوم العدو . كان يفتخر بأن بوالله والعبد المسلمين حدثاً سوف يسعون لإعطاء صورة مشرفة عن أنفسهم إذا هوجوا . ولا بد أن سباليدينج قد شعر بالغم عندما رد عليه الرجل الذي يعتمد عليه معلنا : يمكنني أن أطيع أي شخص من الزوج أصحاب العقيدة الصحيحة ليس الكلاب النصارى الذين لديك . وعلى الرغم من طبيعته غير الخيرة فإن الأساطير التي أحاطت بـ بوالله كانت مستمرة وواسعة الانتشار بشكل كبير لدرجة أنها ألمحت جوبل تشاندلر هاريس Joel Chandler Harris في التسعينيات من القرن التاسع عشر لكتابه قصصتين خياليتين بنيتا على المأثر الخاصة بهذا الرعيم المسلم وأسرته^(٨٧) .

(87) William L. Van Deburg, *The Slave Divers: Black Agricultural Labor Supervisors in the Antebellum South* (Westport, CT: Greenwoood Press, 1979), 22-23; and E. Meton Coulter, *Thomas Spalding of Sapelo* (University, LA: Louisiana State University Press, 1940).

في أحد هذه الأعمال كتاب للأطفال بعنوان قصة هارون ولد بن علي of Ben Ali تم تحويل البطل هارون من كونه إفريقياً ليصبح عربياً بعد حصوله على وثائق عربية ورثها عن والده بن علي . كان بن علي عربياً يتاجر في الرقيق وتم استرقاقه هو شخصياً أثناء إحدى غزواته في منطقة سينياغامبيا . كان العبيد في المزرعة يخافون هارون ويحترمونه في آن واحد ، الذي كان يعتبر أكثر ذكاء وقدراً من الأفارقة . تدور القصة حول ثلاثة أطفال هم بسترون Buster Drusilla John وأخته سويتست سوزان Sweetest Susan ومرضة / صاحبة العبيد درو سيلا Drusilla ، أصدقاء هارون الذي كان غريباً ولكنه شجاع يستطيع أن يكلم الحيوانات سراً . الحيوان الرئيسي كان تيمولين Timoleon الحصان الأسود وهو حفيد الحصان الشهير عبدالله Abdallah . كل العبيد السود بشكل عام طفوليين وجباء خاصة دروسيلا . والشخص الذي استطاع إنقاذ ممتلكات المزرعة هو ذلك العبد الشجاع الذي أصبح غير إفريقي ، ولأن المعلم الذي أنقذ حياته - وهو من دعاة التخلص من العبودية - منذ سنوات بعيدة هو سناتور أمريكي ، أمر هذا السناتور الجنرال جرانت Grant بحماية المزرعة وقام بمصافحة هارون شكرأً له . (المؤلف) .

تسلم سبالدينج شحنة من البنادق من ولاية جورجيا لحماية أرضه . وأعطتها إلى بوالله لتوزيعها على العبيد وتدربيهم عليها استعداداً لأي غزو بريطاني . لم يحدث أي هجوم على سابيلو Sapelo ولكن الإنجليز هاجموا بالفعل مناطق سانت سيمون St. Simon وكمبرلاند Cumberland الغربية . في عام ١٨٢٤ م اجتاح إعصار منطقة سابيلو وقام بوالله بإنقاذ العبيد بشكل بطيء^(٨٨) . على الرغم من أن توماس سبالدينج كان مزارعاً على درجة عالية من الإبداع بحيث استطاع أن يؤمن ولاء العبيد له ، لكنه لم يكن بالضرورة على اطلاع جيد على قدرات العبيد من الناحية الذهنية . وكان يعتقد بأن لهم قدرات محدودة على التفكير . ومع هذا لاحظ جيداً نظافة المسلمين ونقاءهم . كان سبالدينج يطالب بنظافة مطلقة من أجل أن تتم عملية تكرير السكر بشكل فعال . وفي إطراء خفي أوضح إعجابه بعض ممارسات المسلمين حيث ذكر مايلي : إن السكر أكثر عداءً للأوساخ من المسلم الذي يتوضأ في كل يوم خمس مرات^(٨٩) .

كتبت جورجيا كونراد Georgia Conrad في عام ١٩٠١ م - وهي محرة صحيفة ذا ساوثرن وركمان The Southern Workman - عن لقائهما مع بو الله Bu Allah وأخرين من المسلمين السود . ولحسن الحظ فقد ذكرت بعض التفاصيل فيما يتعلق بلغتهم ولباسهم .

على ساحل جورجيا Georgia قرب دارين Darien ، كنت أعرف أسرة
من الزنوج الذين كانوا يبجلون محمداً كانوا يمتازون بطول القامة وحسن البناء

(88) Coulter, *Thomas Spalding*, 83.

على الرغم من أن الود المتبادل بين توماس سبالدينج والعبيد الذين عنده كان يبدو غريباً ، فإن كولتر Coulter نقل أن سبالدينج كان يرفض أن يعين رجلاً أبيض للإشراف على العبيد الذين بلغ عددهم ٢٥٠ ، وهي مهمة كان يقوم بها بنفسه أو يختار شخصاً مثل بو الله Bu Allah . كان العبيد يعملون لمدة ٦ ساعات فقط في اليوم فيما عدا فترة جني القطن . وكما نقل كولتر فإن سبالدينج كان يتبع نظام توزيع المهام على العبيد وعندما ينهي الشخص العمل الموكل إليه فإنه يأخذ وقتاً حرّاً إلى أن يحين وقت المهمة التالية له . Thomas Spalding, 85.

(٨٩) المصدر السابق ، ص ١١٧ .

الجسدي . تحدثوا معنا بالإنجليزية ولكنهم كانوا يستعملون لغة أجنبية عندما يتحدثون مع بعضهم البعض ، كان على رأس القبيلة رجل كبير السن يسمى بلا لا - Bi - la . كان يلبس باستمرار طاقة تشبه الطربوش^(٩٠) .

توجد في مكتبة ولاية جورجيا خطوطه كتبها بوالله (Aka Ben-Ali, Bilali, and belali Mahomet) وتحتوي هذه المخطوطة على مقاطع من الرسالة Risalan ، وهي عبارة عن نصوص شهيرة للمذهب المالكي من الشريعة المحمدية تتحدث عن طقوس الوضوء والنداء للصلوة . قدمت السيدة ماكسفيلد باريش Mrs Maxfield Parish - وهي من جزيرة سانت سيمون في ولاية جورجيا - نسخة من هذه المخطوطة إلى البروفيسور H. Greenburg Professor . وجينبرج من جامعة نورث ويسترن North western من أجل ترجمتها في عام ١٩٣٧ م . وكان ب. ل . جولدينج B.L. Gouging الذي تسلم النسخة الأصلية من المخطوطة من والده ، والذي كان قد حصل عليها من بن علي Ben Ali شخصياً قد أودع هذه المخطوطة في المكتبة في عام ١٩٣٠ م . وكان جولدينج Goulding الأب هو الذي بعث نسخة بواسطة الفاكس إلى جويل تشاندلر هاريس Joel Chandler Harris . كان يعتقد خطأً بأن هذه الوثيقة عبارة عن سيرة ذاتية لحياة بن علي Ben Ali في الولايات المتحدة . وأخيراً تم الكشف عن المحتويات الحقيقة لهذه الوثيقة التي تحتوي على ١٣ صفحة وذلك بعد رحلة ميدانية إلى غرب إفريقيا في عامي ١٩٤٠ م - ١٩٣٩ .

عندما تم الحصول على نسخة خطية من الرسالة Risalan وقورت بـ بالخطوطة التي كان يعتقد بأنها مذكرات ، ظهر مباشرةً أن الجزء الأكبر منها هو عبارة عن مقتطفات من الرسالة وتحتوي على صفحة الغلاف ومقاطع من المقدمة وأجزاء من الفصول التي تتحدث عن الوضوء والنداء للصلوة ..

(90) Kly, "The Africans-American Muslim Minirity," 154.

ويقي جزء يسير من الوثيقة دون تحديد ، ولكن يعتقد بأنه مأخوذ من الرسالة
أو من عمل آخر مشابه^(٩١).

السيدة باريش Mrs. Parrish أيضاً قابلت حفيدة ابنة بوالله . واسمها كيتي Katie وسجلت حقائق مهمة حول حياته . كان له ثانية أولاد : مارجريت Mar-garet وهي جدة كيتي ، وهيسنر Hester ، وكوتى Cotty ، وفاطمة Fatima ، وشاد Shad ، ونيرابه Nyrrabuh ، وميدينا Medina ، وبيني Binty . كان جميع الأولاد يتكلمون لغة والدهم الإفريقية ولللغة الانجليزية ولللغة الفرنسية باستثناء الأصغر الذي لم يكن يتكلم الفرنسية . مارجريت وكيتي كانتا مسلمتين وكانت كيتي تحفظ صلواتها ودعواتها الإسلامية وأجزاء من السور القرآنية التي كان بلاي وزوجته يرددونها عندما يصلون ، وتذكر كيتي أيضاً بأنها وفي بعض أيام العيد قد حصلت على كرات خاصة من الأرض بحجم بيضة الدجاج لتأكلها . وكانت مارجريت تعطي هذه الكرات من الأرض التي كانت تسميتها ساريكا Sarika إلى الأولاد ، وكانت تقول لكل واحد منهم وهي تعطيه إياها ساريكا- ديه Sarika-dee أو أهمي Ahme . لم تكن كيتي تعرف معنى هذه الكلمات ولكنها فهمت بأنها كلمات مهمة . وعندما توفي بوالله تم دفن مصحفه وسجادة صلاته معه^(٩٢).

البعض الآخر من العبيد كان يكتب مقاطع طويلة من الإنجيل وفي بعض الأحيان من الذاكرة بلغة عربية صحيحة . وبعد حوالي ٥٠ سنة قام أحد العبيد واسمه لندن London بكتابة نسخة من الأنجليل الأربع والأربعين والعديد من التراثين^(٩٣) .

(91) Joseph H. Greenberg, "The Decipherment of the 'Ben-Ali diary.' A Preliminary Statement," *The Journal of Negro History* 25 (July 1940): 372-374. Joel Chandler Harris, Atlanta newspaper editor, collected African American slave stories which he published as *The Tales of Uncle Remus*.

(92) Kly, "The African-American Muslim Minority," 155.

(93) Stanley Kaplan and Emma Nogrady Kaplan, *The Black Presence in the Era of the American Revolution*, rev. ed. (Amberst: The University of Massachusetts Press, 1989), 251-252.

في المناطق التي كان يوجد بها عدد من المسلمين العبيد مثل جورجيا وجامايكا ، كانوا يرسلون بعضهم البعض باللغة العربية ، ومازالت بعض الترجمات الإنجليزية لهذه المراسلات محفوظة . ومن العجيب أن تجد بعض المراسلات عبر المحيط الأطلسي بين المسلمين المستعبدين وعائلاً لهم في إفريقيا ولكنها لم تكن كثيرة على أي حال . في عام ١٧٨٦ م في جامايكا وزعت رسالة من غينيا بين المسلمين العبيد بعنوان طريق المؤمنين نحو اليقين^(٩٤) . مثال آخر ربما كان نسخة مائلة لما سبق ، كان عبارة عن رسالة وصلت إلى حوزة عبد مسلم يسمى محمد كابا Mohammad Kaba . كان محمد كابا يعرف أيضاً أبناء العبودية . Robert Tuffit Robert Pearl وروبرت توفت

قبل حوالي ٣ سنوات (١٨٣١ م) ، وصل إليه من كينجستون Kingston على يد أحد الأولاد ورقة كتبت في إفريقيا قبل ٤٥ سنة من ذلك الوقت . . . كانت هذه الورقة تحت جميع أتباع محمد ليكونوا صادقين وملخصين إذا كانوا يريدون في الذهاب إلى الجنة . . . الخ . وقامت زوجة محمد كابا Munammad Kaba بإثلاف هذه الوثيقة Wathiqa لأناء ثورة العبيد في يناير ١٨٣٢ م وذلك لأنها كانت تعتبر خطيرة^(٩٥) .

كان هناك اتصال محدود بين العبيد المسلمين ، باستثناء أولئك العبيد في البرازيل حيث كان يوجد بها عدد كبير منهم . وبانفصالهم عن أصحابهم المؤمنين استمروا في الكفاح مع أجل ممارسة دينهم . وكما يبدو فإن التحول إلى النصرانية

(94) Miller and Smith, *Dictionary of Afro-American Slavery*, 371.

(95) Ivor Wilks, "Abu Bakr Al-Siddiq of Timbuktu," in *Africa Remembered: Narratives by West Africans from the Era of the Slave Trade*, ed. Philip D. Curtin (Madison, WI: University of Wisconsin Press, 1957), 164.

ولد كابا في إفريقيا وعاش في إحدى مزارع مانشستر باريش Manchester Parish في جامايكا . كان قائداً لمجموعة من المسلمين وتسلم رسالة من الملك الإفريقي الإمام أبي بكر . الملك الفولاني في فوتا جالون أعلن الجهاد في ٤ م الأمر الذي كان له تأثير واضح في ثورة العبيد الجامايكيين عام ١٨٣٢ . وفقاً لـ Nunez, *Dictionary of Afro-Latin American Civilization* 327.

لم يكن طوعياً أو عن قناعة قلبية . وعلى العكس من ذلك ، فإن الإسلام كان ومايزال في كثير من المناطق مصدراً قوياً للشعور بالعداء نحو الغرب⁽⁹⁶⁾ .

كان المسلمين العبيد يرغبون في اقتناء نسخ من القرآن كوسيلة لحفظ دينهم ، وذلك لأن العديد منهم كانوا يقرأون ويكتبون بالعربية . حتى إن البعض منهم كانوا يتمنون الحصول على نسخة من القرآن بعد مضي ٤٠ سنة على استعبادهم . ولكن البعض أرادوا تحويلهم إلى النصرانية وكان البعض منهم يستعين بالخدعية لتحقيق ذلك .

كان البعض يقرأون لهم ترجمات إنجليزية للقرآن إلى أن يتقنوا اللغة الانجليزية ومن ثم يستبدلون الإنجيل بالقرآن . بينما كان العبيد يذكرون عقائد الإسلام فإنهم كانوا يطبقون مفاهيم ومعتقدات النصرانية لأن العديد منها كان مطابقاً للدرجة كبيرة لتعاليم محمد .

وعلى الرغم من أن العبيد كانوا يستخدمون كلمة «Gad» بدلاً من الكلمة «الله» وال المسيح عيسى بدلاً من محمد فإن الكثير منهم كانوا يستخدمون الألفاظ النصرانية لإخفاء معتقداتهم الإسلامية الأصيلة . كانوا يعتقدون أن الدين واحد ولكن الأسماء تختلف باختلاف الأقطار .

أحد الأسباب التي جعلتهم يتقبلون النصرانية كان وجود تشابهات كافية بين الديانتين . ربما كانوا يبدون كنصارى ظاهرياً ولكن بعضهم حافظ على الإسلام في قلبه⁽⁹⁷⁾ .

هناك تقارب كبير ومدهش بين المبادئ الأساسية للإسلام والنصرانية والديانات الإفريقية . وليس الإسلام ولا النصرانية بغربيين في جوهرهما عن

(96) Miller and Smith, *Dictionary of Afro-American Slavery*, 371.

(97) John W. Blassingame, *The Slave Community: Plantation Life in the Antebellum South* (New York: Oxford University Press, 1979), 73; and Gayraud S. Wilson, *Black Religion and Black Radicalism*, C. Eric Lincoln Series on Black Religion (Garden City, NY: Doubleday and Company, 1972), 10-11.

المفاهيم الدينية الإفريقية . وإذا ماجررتا من بعض التعبيرات الخاصة بكل منها فإن المفاهيم الدينية الإفريقية تصبح ليست غريبة عن النصراني أو المسلم^(٩٨) .

٢ - يارو محمود :

يارو محمود Yarrow Mamout كان من أكثر المسلمين شهرة وعجبًا ، وقد ذكر من خلال بعض الطرائف التي رواها الفنان الشهير تشارلز ولسون بيل Charles Willson Peale ، اشتري محمود حرفيته ، وعاش خلال فترة الحرب الثورية وأمتلك عقاراً وبقي مسلماً مخلصاً ، عاش حتى بلغ أكثر من مائة سنة من العمر ، وسافر بيل إلى جورج تاون Georgetown في عام ١٨١٩ م ليرسم صورته . كتب بيل قصة محمود في مذكراته في ذلك اليوم ، وربما تكون تلك المذكرات هي المكان الوحيد الذي ذكرت فيه قصته .

لقد قضيت معه طوال اليوم ولم أرسم صورة جيدة تمثل شخصه فقط ، وإنما رسمت أيضًا الخلفية التي كانت تحيط به - ومن أجل أن أتقن الصورة بشكل أكبر طلبت منه الجلوس أمامي لإتمام الرسم في اليوم التالي - وفي الصباح الباكر ذهبت لمقابلة بعض أفراد إحدى الأسر الذين كانوا على معرفة جيدة به لسنوات طويلة والذين كان أجدادهم قد اشتروه من السفينة التي أحضرته من إفريقيا . وقد أرشدني السيد بيل Bell الذي يعمل في أحد البنوك إلى أرملة كبيرة في السن هي التي منحته حرفيته . وعندما استفسرت من هذه السيدة عن عمره أخبرتني بأنه سيصبح ١٣٤ سنة في شهر مارس القادم ، وعرفت أنه كان يعد ١٢ قمراً في السنة الواحدة (يعتمد التقويم القمري) وأنه كان يبلغ من العمر ٣٥ عاماً عندما أحضر لأول مرة إلى أمريكا بواسطة الكابتن داو Cptn Dow - ولكن تلك الأرملة أخبرتني بأنه كان من المتبع في تلك الأيام أن يتم تقدير أعمار العبيد عندما يؤتى بهم إلى البلاد بواسطة لجنة خاصة بذلك ، وأنها تعتقد بأنه كان قد بيع على اعتبار أن عمره حوالي ١٤ سنة ، ولكنه ربما كان أكبر من ذلك قليلاً . . .

(98) Paul Bohannan and Philip Curtin, *Africa and Africans*, 3rd. ed (Prospect Heights, IL: Waveland Press, (1988), 206.

كان يارو يمتلك بيته كما أنه كان معروفاً لدى معظم السكان في جورج تاون وبشكل خاص لدى الأولاد الذين كانوا عادة ما يصيغونه ، ولكنكه كان يأخذ الأمر بحسن النية وعن طيب خاطر . ويدلoli على أن حسن خلق هذا الرجل قد ساعد في طول عمره . وقد عُرف يارو ببرازاته ومرحه ، وكان يعلن بأنه من أتباع محمد ، وعادة ما كان يُرى ويُسمع وهو يسير في الشوارع منشداً تسبیحاً لله وتحمیداً له - وعندما تحدثت معه عن ذلك قال : إن الإنسان لا فائدة منه إذا لم يكن إيمانه نابعاً من القلب ...

كان أصحابه ومعارفه غالباً ما يهازحونه حول أكل لحم الخنزير وشرب الويسيكي - ولكنكه كان يقول إن أكل لحم الخنزير ليس جيداً ، كما أن شرب الويسيكي يعتبر في غاية السوء^(٩٩)

٣ - جوب بن سليمان (أيوب بن سليمان) :

إن من أوائل القصص الكاملة التي وردت عن حياة رقيق مسلم في الولايات المتحدة هي « بعض المذكرات عن قصة حياة جوب بن سليمان Job Ben Solomon رجل الدين الأعلى في بوندا Boonda في إفريقيا » الرجل ذكر في الفقرة السابقة . كتب توماس بلوت Thomas Bluett من ماريلاند Maryland مذكرات نشرت في مدينة لندن بإنجلترا سنة ١٨١٦ م . وقد احتوى كتاب فرانسيس مور Francis *Travels into the Inland Parts of Africa* Moor وهو بعنوان رحلات إلى أدغال إفريقيا والذى نشر في لندن عام ١٧٣٨ م مقتطفات عن حياة جوب بن سليمان . كان اسم جوب بن سليمان الحقيقى هو أيوب سليمان Ayuba Suleiman ولكن بسبب كثرة المواد المنشورة عنه تحت الاسم الإنجليزى Anglicized له تم استعمال ذلك الاسم في هذا البحث . كان جوب ريقاً في ولاية ماري لاند Maryland ما بين عامي ١٧٣١ م و ١٧٣٣ م . وكان يوصف بأنه من الفولانيين من مملكة الفتوا ، كان يكتب العربية وعلى معرفة جيدة بالقرآن - في الحقيقة كان يستطيع تلاوته بكامله^(١٠٠) . كان ينحدر من عائلة دينية مهمة وكان يدرس مع الشخص الذى

. (٩٩) المصدر السابق ، ص ٢٥٢-٢٥٥

(100) "Authobiography of Omar ibn Said, Slave in North Carolina, 1831," *The American Historical Review* 30 (July 1925): 787.

أصبح ملكاً على الفولانيين فيها بعد . كان اسمه يكتب أيضاً كما يلي : Hyuba, Boon Salumarna, Boon Hibrahema اسم عائلته جالو Jallo أو [Dialo]. وعندما بلغ الخامسة عشرة من عمره كان يساعد والده الذي عمل إماماً في بوندو Bundo وهي المدينة التي أسسها جده^(١٠١). وتعتبر قصة جوب من القصص المهمة لأنه عاد في النهاية إلى موطنه الإفريقي . وورد ذكره في رواية فرancis Moore مور Francis Moore في فبراير ١٧٣١ م الذي كتب ما يلي :

... مباشرة بعد نزول الكابتن بايك Pyke (وهو تاجر مستقل) من السفينة Arabella تم تحميلاها بالرقيق من جور Joar ، ومكثت يوماً أو يومين في منطقة جيمس فورت James Fort ثم أبحرت إلى ماري لاند Maryland ، وكان من بين العبيد الذين حصل عليهم رجال يسمى جوب بن سليمان وهو من سلالة الفولاني وابن لرجل دين ذي مكانة عالية في البوندو Bundo في منطقة فوتا ، وهو مكان يبعد مسيرة عشرة أيام من جيلي فري Gilly Free ، وكان جوب مسافراً على الجانب الجنوبي من النهر مع خادم له وحوالي ٢٠ أو ٣٠ رأساً من الماشية تعود لأحد الملوك في منطقة لا تبعد كثيراً تقع بين تانكروول Tancrowall ويامينا Yamina ، وقد تم الاستيلاء على الماشية والخادم بالإضافة إلى الرجل نفسه ، ومن ثم يبعهم إلى الكابتن بايك حيث كان يتاجر في منطقة جور . كان من الممكن أن يقوم الفولانيون بقتله وإنقاذه ولكن تم نقله بعيداً عن النهر قبل أن يتبعوا إلى أنه صار مع العبيد^(١٠٢).

كان والد جوب قد أرسله مع اثنين من الخدم إلى بايك من أجل أن يبيعوا له ولدين كرقيق . كان جوب خيراً في تجارة العبيد وعندما لم يتفق مع بايك على السعر قرر أن يبيع الولدين في مكان آخر . ومع أن والده قد حذرته بعدم العبور

(101) Elizabeth Doonan, *Documents Illustrative of the History of the Slave Trade to America*, vol. 2, *The Eighteenth Century* (Washington, DC: Carnegie Institution of Washington, 1931), 420; and Piersen, *Black Legacy*, 88.

(102) المصدر السابق ، ص ٣٩٩ - ٤٠٠ .

إلى غامبيا لأن المانديين والفولانيين كانوا في حالة حرب ، فقد أغفل جوب تحذير والده وعبر النهر مع مترجم من الفولا اسمه لومين ياو Loumein Yaoi . وبعد بيعه للولدين وحصوله على ٢٨ رأساً من الماشية ، توقف في قرية من قرى الفولا حيث نزع سلاحه ليأخذ قسطاً من الراحة . هاجم سبعة أو ثمانية من المانديين الكوخ الذي نزلوا فيه من الباب الخلفي ، وأسروا الرجلين وحلقوا رأسهما ولحيتهما كعلامة على أنها سلعة للبيع . ومن ثم باعوهما ووضعوهما على ظهر السفينة أرابيلا سفينه الكابتن بايك . وعندما تمكّن جوب من إخباره بأنه قد تمّ أسرهما وبيعهما بطريقة غير شرعية وافق بايك على إطلاق سراحهما مقابل اثنين من العبيد عن كل واحد منها . كان ذلك في يوم الأحد وكان من المقرر أن تبحر السفينة في يوم الجمعة الذي يليه . وهكذا أبحرت السفينة قبل أن يتمكن أي رسول من الوصول إلى والد جوب وترتيب عملية الفدية^(١٠٣) .

وكما يروي فرانسيس مور ، فإن بايك كابتن السفينه أرابيلا حمل جوب إلى ماري لاند وهناك باع حمولة السفينه إلى فاتشيل دينتون Vachell Denton وهو سمسار يعمل لصالح التاجر اللندني وليام هانت William Hunt . وقد باع دينتون - وهو من سكان أنابوليس Annapolis - جوب إلى اليكسندر توليسي Alexander Tolsey بمبلغ ٤٥ جنيه إسترلينياً . قام توليسي بسمية جوب باسم سيمون Simon وأرسله للعمل في مزرعة للتبع في جزيرة كنت kent وهي مقاطعة تابعة للملكة آن Queen Anne تقع على خليج شيزاريック Chesapeake Bay . كان العمل الذي أوكل إلى جوب شاقاً جداً بالنسبة له ومن ثم تم نقله من العمل في التبع إلى رعي الماشية . كان يصعب عليه التأقلم مع حياة العبودية القاسية والمهينة وذلك بسبب المكانة العالية التي كان يتمتع بها سابقاً . وسمح له بمهارسة دينه ولكن في كل مرة كان يذهب فيها ليصلّي يتبعه ولد أبيض لمراقبته . كان هذا الولد يستغرب جداً من ممارسات جوب الدينية وكان يُعنّفه ويلقى الأوساخ على وجهه^(١٠٤) . مكث

(103) Grant, *The Fortunate Slave*, 63, 67-69.

(104) المصدر السابق ، ص ٧٨ - ٨٢ .

جوب مع تولسي حوالي اثني عشر شهراً دون أن يُضرب أبداً من قبل سيده ، ومع نهاية هذه المدة حالفه الحظ السعيد حيث استطاع أن يكتب رسالة باللغة العربية بخط يده ثم إياصاها إلى إنجلترا⁽¹⁰⁵⁾ . كانت ماري لاند ماتزال مستعمرة بريطانية وبعد مرورها بطرق ملتفة وصلت رسالة جوب إلى يد جيمس أوغليثورب دي فاكتسو James Oglethorpe, de facto حاكم وأحد أمناء ولاية جورجيا . كان أوغليثورب يعارض ولأسباب اقتصادية العبودية في جورجيا ، مع أنه يمتلك عبيداً في مزرعته الواقعة في جنوب كارولاينا South Carolina وكان نائباً لمدير الشركة الإفريقية الملكية ، والتي كانت تتحكر تجارة العبيد حتى عام ١٦٩٦م⁽¹⁰⁶⁾ . حاول جوب الهروب من جزيرة كنت واستطاع الوصول إلى مقاطعة كنت الواقعة على خليج الشيزابيك قبل أن يتم الإمساك به هناك . وقد ألقى القبض عليه وأودع في السجن المحلي والذي كان بمثابة خان (فندق صغير) أيضاً . لم يستطع الحراس أن يفهموا منه غير كلمتي الله ، و محمد وهذا فقد استنتاجوا بأنه مسلم . وقابل جوب في تلك الفترة توماس بلوت الذي كان مدعياً عاماً وحافظ على علاقة صداقة معه .

بعد أن تحقق أحد العبيد القربيين من السجن والذي كان يتكلم لغة الولوف من قصّة جوب ، تم الاتصال بتولسي . وبدل أن يغضب تولسي من هروب جوب فإنه سمح له بالصلاة منفرداً وأوكل إليه أعمالاً أسهل من ذي قبل ، وربما كان سبب ذلك لأن تولسي كان موقناً بأن جوب كان أميراً في بلده الأصلي . وهنا قرر جوب الاتصال بوالده فكتب رسالة بالعربية وأرسلها إلى باتشيل دينتون ليرسلها بدوره إلى الكابتن بايك والذي كان بإمكانه إياصاها إلى إفريقيا . وبما أن بايك كان قد أبحر إلى لندن فقد أرسل دينتون الرسالة إلى الكابتن هانت Hunt في لندن وطلب منه تسليمها إلى بايك هناك . ومع وصول الرسالة إلى هانت كان بايك قد أبحر إلى غامبيا . لم يدر هانت ما يفعله بالرسالة وخاصة أنه لم يكن

(105) Doonan, *History of the Slave Trade*, 414-415; and Piersen, *Black Legacy*, 78.

(106) Higginbotham, *In the Matter of Color*, 63, 216.

يعرف محتواها ، لذا فقد أخذها إلى أصدقاء له في الشركة الإفريقية الملكية لترجمتها^(١٠٧) .

أرسل أوغليثورب Oglethorpe الرسالة إلى أكسفورد حيث قام بترجمتها جون جاجنير John Gagnier الذي كان يشغل منصب الأستاذ الأعلى في اللغة العربية . وكان أوغليثورب شديد الإعجاب بجوب لدرجة أن أشار بضرورة شرائه من سيده وإحضاره إلى إنجلترا . وقام بترتيب دفع نفس الثمن الذي اشتري به جوب والبالغ ٤٥ جنيهاً إسترلينياً عند استلامه في إنجلترا . ولكن فصل الشتاء القاسي في تلك الفترة سبب تأخيراً في إقلاع جوب بحراً إلى إنجلترا ، وفي انتظار إقلاعه عمل جوب مع الوزير جون هامفريز John Humphrys حيث كان يعلم العربية واستطاع أخيراً الإقلاع في مارس ١٧٣٣ م على ظهر السفينة William ، بصحبة صديقه توماس بلوت . وبدلًا من أن يسافر في العنبر الكريه في السفينة ، اعتبر هذه المرة ضيفاً على القبطان .

أثناء وجوده في لندن قام جوب بعمل بعض الترجمات للسير هانز سلون Sir Hans Sloane والذي شكلت مجموعة نوأة المتحف البريطاني فيما بعد . كان سلون هو الطبيب الخاص بالمملكة كارولайн Queen Caroline وأكبر جامع للأشياء النادرة في عصره . وقد جاء جزء من ثروته من تجارة الرقيق . وفي أثناء فترة وجوده في جامايكا مارساً للطلب تزوج من أرملاة غنية لأحد المزارعين . وإلى جانب ما كان يجمعه من مواد لكتابه عن التاريخ الطبيعي للجزيرة - والذي طبع في عام ١٧٠٧ م - كان يقوم بتوثيق العقوبات الشنيعة التي كان يتعرض لها العبيد . وقد استفاد المنادون بإلغاء العبودية من هذه التقارير لتأييد ما يدعوه إليه من أفكار . كانت مجموعة سلون المكشوفة في إنجلترا تحتوي على عمالات نقدية وميداليات و ٤٢٠٠٠ ألفاً من المخطوطات والمجلدات التي كان يأمل بأن يترجمها جوب له . كان سلون معجبًا بقدرة جوب على الترجمة من اللغة العربية القديمة

(107) Grant, *The Fortunate Slave*, 82-84.

والحديثة، وبسبب قدراته هذه أصبح جوب حديث المجتمع الإنجليزي ككل^(١٠٨).

أوصى سلون به إلى فخامة دوق مونتيجو Duke of Montague ، الذي سُرّ بحسن خلقه وهدوء طبعه كما سرّ بنبوغه وقدرته ، ومن ثم قدمه للبلاط الملكي حيث استقبل بحفاوة من قبل العائلة المالكة ، والكثير من النبلاء والذين منحوه درجات مميزة من الثناء .

إحدى الروايات العجيبة التي وردت عن جوب تحدثت عن ذاكرته غير العادية . ففي كل من أمريكا وإنجلترا شهد من كان يعرفه من الناس أنه كان بإمكانه تلاوة القرآن كله من الذاكرة . مع أن هذا الأمر يبدو مستبعداً^(١٠٩) إلا أن كتاب جنديز للأرقام القياسية Guinness Book of Records يحتوي على رواية مماثلة . وفي أثناء وجوده في إنجلترا فإنه يُظن أنه قام بكتابة عدة نسخ من القرآن باللغة العربية من ذاكرته^{7yzz6}. توماس بلوت - الذي سافر معه إلى إنجلترا وكتب عنه تقريراً مفصلاً - قال مابلي :

كان يتمتع بذاكرة غير عادية ، فمنذ أن كان في الخامسة عشرة من العمر كان يستطيع تلاوة القرآن كله من الذاكرة ، وأنباء وجوده هنا في إنجلترا كتب ثلاث نسخ من القرآن من غير أن ينظر إلى إحدى هذه النسخ وهو يكتب الأخرى . كان غالباً ما يضحك مني عندما يسمعني أقول إنني نسيت شيئاً ما . ويقول لي إنه نادراً ما ينسى أي شيء في حياته ، وكان يستغرب كيف ينسى الآخرون^(١١١) .

(١٠٨) المصدر السابق ، ص ٨٤ - ٨٧ ، ٩٩ - ١٠٠ .

(١٠٩) لا أدرى لماذا يبدو هذا الأمر مستبعداً مع أنه يوجد في أيامنا هذا عشرات الآلاف من المسلمين من يحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب ، لا يكاد يضيع منه حرفاً !! (المترجم) .

(110) Wilson Armistead, *A Tribute for the Negro* (Manchester, England: William Irwin, 18848), 420.

(111) Donnan, *History of the Slave Trade*, 414-416; and H. G. Adams, ed., *God's Image in Ebony* (London: Partridge and Oakey, 1854), 427.

بعد مضي ١٤ شهراً ، أراد جوب أن يعود إلى وطنه في بوندو . وترك إنجلترا محلاً بالهدايا من العائلة المالكة والتي اشتغلت على ساعة ذهبية من الملكة كارولайн زوجة وليام الثالث William III وغيرها من دوق نورثمبرلاند-Northumber land ودوق مونتيجو . وصاحب فرانسيس مور في رحلته إلى إفريقيا . وبينما كانا يجلسان معاً تحت شجرة قرية من منزله ، تعرف جوب على الرجال الست أو السبع الذين باعوه كرقيق (ولم يتعرف هؤلاء الرجال عليه) ، وبالرغم من أنه كان يود أن يقتلهم ، لكنه تراجع واكتشف أن سيدهم الذي كان ملكاً قد مات . وقد كان أحد الأشياء التي أخذها هذا الملك ثمناً لجوب مسدساً ، كان هذا المدس دائمًا معبأً بالرصاص يربطه الملك في حبل حول رقبته . وفي أحد الأيام انطلقت منه رصاصة خطأ فأصابت الملك في حلقه وقتلته^(١١٢) .

لدى سماعه لهذه القصة تأثر جوب بها كثيراً لدرجة أنه سجد على ركبتيه شاكراً لـ محمد لأنّه جعل هذا الرجل يموت بنفس البضاعة التي أخذها ثمناً له عندما بيع ريقاً...^(١١٣) .

كتب جوب بن سليمان بتاريخ ٢/١/١٧٣٦ م رسالة إلى السيد سميث Mr. Smith وهو أستاذ الكتابة في مدرسة سانت باول St. Paul's School في إنجلترا ، ذكر فيها أنه قد وصل سالماً إلى أرضه . وأبلغ سميث بما حدث أثناء فترة غيابه عن بيته مثل موت والده وزواج إحدى زوجاته . وشكر أصحابه الذين ساعدوه في إنجلترا . وقرر مساعدة الإنجلزي في تجارة الصمغ العربي في غامبيا ، وقد كان يتعين عليهم سابقاً شراءه من المستعمرات الفرنسية^(١١٤) .

وكان الفرنسيون والهولنديون يتصارعون بسبب الصمغ العربي الذي كان يعتبر أكثر ربحاً من تجارة الرقيق^(١١٥) وصلت إحدى الرسائل من جوب إلى السير

^(١١٢) المصدر السابق ، ص ٣٩ .

^(١١٣) المصدر السابق ، ص ٤١٥ . غني عن البيان أن السجود في الإسلام لا يكون إلا الله تعالى . وأن صورة السجود - على الركتين - التي ذكرها الباحث غير معروفة كذلك (المترجم) .

^(١١٤) المصدر السابق ، ص ٤٥٥ - ٤٥٦ .

⁽¹¹⁵⁾ Hall, *Africans in Colonial Louisiana*, 33.

هانز سلون الذي أرسلها بدوره إلى الجمعية الملكية في ٤ نوفمبر ١٧٣٦ م ، نشرت هذه الرسالة في مجلة جتنلمنز Gentlemen's Magazine وملحق لندن Landon Magazine . شكر في هذه الرسالة الإنجليز على فضلهم وقال إنه أرسل تلك الرسالة من البلد الذي ينبع فيه الصمغ العربي . ووعد أيضاً الإنجليز في رسالته بأن يقوم بمساعدتهم في الحصول على الذهب إذا ما زودوه بالقوارب مستوية القاع . استمر جوب براسلة أصدقائه الإنجليز والأمريكان - وهم دوق متيجو (توفي في ١٧٤٩ م) والسير هانز سلون (توفي في ١٧٥٣ م) وفرانسيس مور (توفي في ؟) وتوماس بلوت (توفي في ١٧٥٠ م) . وكان موته (جوب) قد سجل في سجلات جمعية سبالدينج للبناء المتميزين Gentlemen'd Society of Spalding (التي اختارته كعضو شرف في ٢٣ مايو ١٧٣٤ م) حيث سجل موته في عام ١٧٧٣ م ، ولكن دون إشارة حول سبب اهتمام هذه الجمعية بحدث وفاته الذي وقع في منطقة بعيدة جداً عن إنجلترا^(١١٦) .

عائقه أحد أعمامه الذي يسكن هناك [في بوندو] قائلاً : أنت العبد الأول الذي رأيته قد عاد من الجزر الأمريكية من ٦٠ سنة . وكتب العديد من الرسائل إلى أصدقائه في أوروبا وأمريكا التي كانت تترجم وتتابع بشغف . وبعد وفاة والده أخذ مكانه وكان محظياً جداً من قبل رعاياه^(١١٧) .

استطاع جوب تحرير مسلم آخر من الرق هو صديقه القديم وخادمه الأمين ياو (Loumein Yaoi) Lahamin Joy . حيث جاء إلى دوق مونتيجو الذي قام بترتيب دفع مبلغ من المال من أجل تحرير الأمين ياو وإعادته إلى إفريقيا عبر إنجلترا . وكان توماس بلوت صديق جوب قد عرف مكان ياو في ولاية ماري لاند وقد وصل ياو إلى إنجلترا في ١٧٣٧ م حيث قامت الشركة الإفريقية الملكية Royal African

(116) Grant, *The Fortunate Slave*, 144-145, 186, and 198-199.

(117) A. Mott, *Biographical Sketches and Interesting Anecdotes of Persons of Color*, 2nd ed. (New York: Mahlon Day, 1837), 132.

Company بترتيب إعادته إلى وطنه . وكان قد وصلت رسالة إلى دوق مونتيجو تقول إن الأمين ياو الذي كان قد أسر وأخذ إلى ماري لاند مع جوب ، يجب أن يعامل بلطف وأن تؤمن طريق عودته إلى غامبيا⁽¹¹⁸⁾ .

إذا كانت عودة جوب بن سليمان إلى إفريقيا تمثل معجزة كبيرة قد لا تصدق - وهي كذلك إلى حد ما - فإن على المرء أن يتساءل ما الذي دفع أحد الرجال الرئيسين في تجارة العبيد الدولية لمساعدة أحد الأفارقة العبيد الذي كان يتقن قراءة وكتابة العربية . وربما لا يكمن السبب فقط في قدرات جوب الذهنية ، ولكن في اعتبارات اقتصادية أيضاً . شهدت الأيام الأولى لتجارة العبيد عبر المحيط الأطلسي عودة عدد منهم إلى إفريقيا ، وذلك لأن القوانين المحلية الإفريقية كانت تمنع استرقاق المسلمين ، وبشكل خاص أولئك الذين يتمنون إلى عائلات ذات نفوذ . وربما كان سبب عودة جوب هو قناعة أوغليشورب بأن استرقاق جوب كان سيؤثر سلبياً على الشركة الإفريقية الملكية (أو لأن عودة جوب كانت ستؤثر إيجابياً على علاقات الشركة هناك) ⁽¹¹⁹⁾ . حدثت مع بداية القرن الثامن عشر سلسلة من عمليات الجهاد والتي أدت إلى استرقاق عدد أكبر من المسلمين الذين لم يستطع أحد منهم - على الأغلب - العودة إلى وطنه .

يبدو أن غالبية المسلمين الرقيق قد وصلوا إلى الأمريكتين أثناء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، حينها بدأ المجددون المسلمين المجاهدون بسلسلة من الثورات الدينية والمحروب من أجل إنشاء دولة لهم والتي هزّت السودان . كانت أول عملية جهادية قد حدثت في فوتا جالون في العشرينات من القرن الثامن عشر . تبعتها عمليات أخرى في فوتا تورو وبوندو (1776 م) وأرض

(118) rant, *The Fortunate Slave*, 195-196.

(119) هناك أعداد أخرى من الأفارقة حرروا من العبودية . القادة السود من أمثال مارت ديلاني وبيثوب هيزي مكنيل ترنر Bishop Henry McNeal Turner رروا قصص أجدادهم . كان شانجو Shango جد ديلاني لأمه قد حرر وأعيد إلى إفريقيا وكذلك فإن جدته قد أعتقت ولكنها فضلت البقاء في أمريكا . وأيضاً فإن ديفيد جرير David Greer جد ترنر قد كسب حريته ولكنه اختار البقاء ، هذا ما أورده Piersen, *Black Legacy*, 93.

الموسأ (١٨٠٤ م) وبورنو Bornu (١٨٠٨ م) وأداماوا Adamawa (١٨٠٩ م) وماسينا Macina (١٨١٠ م). هذه العمليات الجهادية ، والتي استغرق بعضها وقتاً قصيراً بينما استمر البعض الآخر لفترة طويلة أدت إلى اضطراب منطقة غرب إفريقيا كلها وأدت إلى وجود العديد من أسرى الحرب الذين استعملوا في تجارة الرقيق ، وكان من بينهم عدد من المسلمين . وقد تم استرافق عدد آخر من المسلمين من الدول غير الإسلامية مثل بامبارا- Bambara وأشانتي Ashanti (١٢٠) .

٤ - الأمين كيبي :

نشر تيودور دوايت Theodore Dwight في عام ١٨٦٤ م تقريراً عن أولد باول Old Paul (الأمين كيبي Lamine Kebe). كتب دوايت في مقالته عن معرفته بجوب بن سليمان وذكر أنه كان هناك آخرون من الأفارقة الذين كانت لهم خلفيات ثقافية مشابهة له . ومع ذلك فلم يكتب عن قصصهم أحد . وقد عطلت حالة الرقيق في الجنوب محاولات دوايت وشخص آخر على الأقل في تسجيل تاريخ المسلمين هناك . وقد حدد مكان عدد من المسلمين في الشمال ، ولكنه لم يستطع أن يكتب إلا عن ثلاثة منهم فقط . وذكر اسم الأمير عبد الرحمن Abdul Rahman (Abdul Rahaman or، ومورو (عمر بن سعيد) omar ibn Said) والأمين كيبي . شاهد دوايت عبد الرحمن مرة واحدة في نيويورك في عام ١٨٣٠ م وتسلم وثيقة مكتوبة باللغة العربية من مورو فيها عرض حياته . وأتيحت له فرصة لعمل مقابلة طويلة مع الأمين كيبي .

... وحصل [دوايت] على كمية كبيرة من المعلومات المهمة من أولد باول أو الأمين كيبي ، وقد حُرر هذا الرجل الموقر في عام ١٨٣٥ م ، كان

(120) Miller and Smith, *Dictionary of Afro-American Slavery*, 370.

أصبحت البرازيل موطنًا للMuslimين العبيد من بورنو الواقعة في غرب ما كان يسمى بالسودان . وكانوا مجموعة مختلطة من الناس الذي يتميزون بوجوههم العريضة وأجسامهم الضخمة كما ذكر Nunesz, *Dictionary of Afro-latin american Civilization*, 84.

ذلك بعد قضائه حوالي ٤٠ سنة رقياً في جنوب كارولاينا South Carolina وألا باما Alabama وغيرها من الولايات الجنوبية ، وكان قد قضى حوالي سنة في نيويورك تحت رعاية جمعية الاستعمار Colonization Society حيث كان ينتظر سفينة لإعادته إلى موطنه الأصلي . وقد عمل الكاتب عدداً كبيراً من اللقاءات المطلولة معه ، ولاحظ أنه شديد الاهتمام بالحديث عن موطنه الأصلي وشعبه ، كاهتمامه بالحديث عن تاريخه الشخصي . كان ذلك اهتماماً منه في نشر هذه المعلومات حتى يطلع عليها الأميركيون . وعادة ما كان يقول : يوجد في أمريكا رجال طيبون ولكنهم جمعياً جاهلون جداً بإفريقيا .^(١٢١).

يبدو أن دوايت كان يحترم الأمين كبيبي كما كان يحترم دين الإسلام . كان يعتقد بأن الإسلام يعتبر عاملاً من عوامل نشر الحضارة عند الزنج وقد وضعه في منزله أعلى من الكاثوليكية Catholicism . ويدو أنه كان على معرفة جيدة بتاريخ الإسلام في إفريقيا ، وقد صرّح محقاً بأن بعض المناطق الإفريقية التي يقطنها السود The Black Race وجد بها مالك ، كان أغلبها واقعاً تحت تأثير الشرائع التي جاء بها محمد لعدة قرون وبعضاها لآلاف السنين .

كانت [التعاليم المحمدية] تمثل جزءاً منهاً من نظام المسلمين ، وكان ذلك يحدث منذ فترة طويلة لدى عدد كبير من العائلات التي ت-Origin من أصل زنجي ، وكانت هذه التعاليم تصاغ حسب النموذج الحضاري للعرب والمغاربة . وعلى عكس المذهب البابوي Popery كان هذا النموذج يعتمد مبدأ أساسياً قوامه تشجيع القراءة ودراسة كتابهم المقدس مجاناً وعلى مستوى عالمي . وبدلًا من منعه عن الناس تحت التهديد بعقوبة الموت أو الخسران والهلاك ، قاموا ببناء المدارس التي تشمل جميع الفصول هدف أساسياً هو تعليم اللغات والعقيدة الدينية . وتعتمد جميع الدروس ابتداءً من الدرس الأول للأطفال على مقتطفات من

(121) Theodore Dwight, "Condition and Character of Negroes in Africa," "The Methodist Quarterly Review 46(January 1864): 80-81. Dwigth writes the names of the Africans as Jod-ben-Solomon, Abder-rahman, and Omar-ben-Sayeed.

القرآن الكريم والتفسير والمواد الأخرى المتعلقة به والتي تعتبر أساساً
لموضوعات الدراسات المتقدمة^(١٢٢)

كان تقدير دوايت لـ الأمين كيبي ولذاته واضحًا جليًا حيث أسهب بعمل إضافات على مقابلاته معه وتطعيمها بمقتضفات أخذت من أقوال مسافرين آخرين ، والتي أكدت جميعها قصة كيبي ، وقال دوايت أيضًا : إن الأمين كيبي كان يعرف الكثير من الحقائق التي لم تكن معروفة لأكبر العلماء في أمريكا وأوروبا . ولقد حظيت بعض هذه المقابلات مع كيبي باهتمام واسع .

جذبت ٣ أو ٤ صفحات نشرت في عام ١٨٣٦ م في مجلة أبحاث الندوة العلمية الأمريكية American Lyceum اهتماماً واسعاً في أوروبا مما حدا بجمعية باريس للجغرافيا بتقديم طلبات متكررة لمزيد من المعلومات ، واستشهد بهذه الصفحات Dr. Latham كأحد المصادر الثلاثة الوحيدة فيها يتعلق بلغة السيريكيولي Sereculy ، ونشر ذلك في الورقة العلمية التي قدمها إلى المؤسسة العلمية البريطانية British Scientific Association . وقدم Dr. Coele . وهو أحد المبشرين التابعين لجمعية المبشرين الكنسية - مجموعة مختصرة لبعض المفردات لهذه اللغة (لغة باول Paul الأصلية) ، لكنه لم يذكر أي معلومات عن الناس أنفسهم . وقد كانوا يمثلون إحدى العائلات الزنجية التي أشير إليها سابقاً والذين امتهنوا معاً دون أن يصلوا إلى درجة الاندماج الكامل ، على امتداد منطقة واسعة من نيجيريتيا Nigritia ، كان جزء منهم من أتباع محمد والجزء الآخر كان من عبادة الأصنام^(١٢٣) .

كان الأمين كيبي من المنطقة الجنوبية من فوتا والتي كان يحكمها الفولا ، وتقع بلده جنوب الصحراء الكبرى في أقصى الغرب من المملكة المستقلة في تلك المنطقة . وانتقل إلى كيبي Kebe or Kibbe حيث تتلمذ على يد عدد من المعلمين .

(١٢٢) المصدر السابق ، ص ٧٨ .

(١٢٣) المصدر السابق ، ص ٨١ .

وقد أتيحت له الفرصة للخروج مع قوافل عسكرية وتجارية إلى بلاد قريبة وأخرى بعيدة وقد نقل تفاصيل عن هذه الواقع إلى دوايت . كما تحدث كيبي عن النفوذ الإسلامي لجماعته .

... ولكن بما أن الفتوات كانت من البلاد التي تدين بدين محمد ، كان بإمكان هذا الدين أن يوفر الوحدة بين الطوائف المختلفة عقائدياً بشكل يكفي لأنصواتها تحت حكومة واحدة ، وكان ذلك يتم بشكل عام في جو سلمي يتمتع فيه الجميع بالقوانين والفنون والتعاليم المأخوذة عن طائفة تؤمن بالنبي محمد والمستوحاة من القرآن والتي يدعى إليها المؤمنون به^(١٢٤) .

وقد تحدث كيبي أيضاً عن تعليم اللغة العربية وهي لغة القرآن . وذلك لأن على الإنسان أن يقرأ القرآن باللغة العربية ، فهو يعتبر حسب تصوّر المسلمين المستقيمين غير قابل للترجمة .

باختصار فإن بлагة اللغة العربية وطريقة نظمها في القرآن متميزة بشكل كبير ، وفيها من القوة وشدة التأثير ما يجعل أي ترجمة منها بلغت من الرصانة والمتانة تبدو وكأنها نسخة ضعيفة لا تكافئ بأي حال تلك النسخة الأصلية ورونقها^(١٢٥) .

كانت العربية تدرس في المدارس في المجتمع الذي عاش فيه كيبي وحيثما وجد علماء الدين تلاميذ . وكان دوايت يعتقد بأن تعليم اللغة العربية هو أحد طرق المداية (التبيشير بالدين) . لاحظ وجود علماء الدين في ليبيريا وسيراليون وغيرهما ، حيث كانوا يعلمون الأطفال كتابة الحروف العربية على الرمال . كيبي نفسه كان معلماً في إحدى المدارس وأنه أخبر بأن إحدى عماته كانت أكثر علمًا منه ،

. ٨٣)المصدر السابق ، ص

(125) Arthur J. Arberry, trans., *The Koran Interpreted* (New York: Macmillan, Publishing Company 1955), 24.

وكانت تشتهر بقدراتها التعليمية . كما أوضح كيبي أيضاً بأن قومه كانوا على درجة جيدة من العلم ، وهي ظاهرة لم يقم المؤرخون عادة بتسجيلها .

وقال : لقد تم إنشاء المدارس في جميع أنحاء البلاد ، حيث نصّ القانون على ضرورة توفير التعليم لجميع الأطفال لكل المراحل ، وتعليم الفقراء مجاناً . وقد أجاب على جميع الاستفسارات حول تفاصيل نظام التعليم بما فيها وسائله وقوانينه والكتب المقررة .. الخ . وبالطبع فإن الكتب كانت عبارة عن مخطوطات ، والشيء الذي كان يصعب تصديقه من قبل الأشخاص غير المطلعين في بلادنا هو أن العديد من اللغات الإفريقية الأصلية كانت تكتب بحروف عربية ، وقد سرد قائمة بحوالي ٣٠ كتاباً مكتوبة بلغته الأم (السيراكيله أو السيراوي The Seraculah or Serrawally) مع بعض التعريف لطبيعة هذه الكتب ومحوياتها^(١٢٦)

وتحدث ولIAM FOX الذي كان يعمل لصالحبعثة وسليان Wesley إلى غرب إفريقيا عن مستوى التعليم الذي كان ينتشر بين أهالي كيبي . سافر فوكس إلى المكان الذي تلقى كيبي تعليمه فيه ، وقابل هناك أحد الكتاب وناقش معه الدين الاختياري expereimental religion وما يذكر أيضاً أن رجلاً من نيويورك طلب عدداً من المخطوطات الإفريقية المكتوبة باللغة العربية بواسطة بعض الرحالات من الزوج المهدىين أتباع محمد في كل من مونروفيا Monrovia وليبيريا . وقام د . بيرد Dr. Bird من منطقة هارتفورد Hartford في كونيكتيكت بترجمة هذه المخطوطات .

... احتوت [هذه المخطوطات] دليلاً على وجود حماس ديني ملخص لدى كتابها الذين وجهاً نداء قوياً إلى الشخص الغريب عنهم والذي كان قد طلب رسالة خطية منهم ، ويبدو أنهم كانوا يفترضون أنه لم يكن مسلماً ، وبذلك كان بتصورهم جاهلاً بخالقه وواجبه نحوه وأهمية معرفة الخالق وطاعته . بعض هذه الفقرات الواردة في تلك الوثائق تصلح تماماً لاستخدامها

(126) Dwight, "Condition and Character of Negros

ـ كخطبة أو موعظة ، حتى في منبر أمريكي ، إلا أنها لم تكن تحتوي على فكرة المخلص [المسيح] ، ولكن هناك أجزاء في هذه الوثائق تُظهر الجهل الكبير لكتابها بعد بلادهم عن البلد الذي أرسلت الرسالة إليها^(١٢٧) .

ـ الجهل الذي أشير إليه هنا يظهر في وصفهم للصين ، والذي كان مفرطاً في الخيال مظهراً أخطاء طفولية تدل على السطحية والتي قد يعتبرها البعض دليلاً على سخافة العقل عند الزنوج . . . وما يُسجل لدى دوايت Dwight قيمة بمقارنة وصف الصين الذي ورد في مخطوطات الأفارقة بالوصف الذي ذكره السير جون ماونديفيل Sir John Maundevill لأسفاره والذي كان قد ترجم واستعمل في أوروبا منذ حوالي أربعة قرون سابقة . وقد تضمن ذلك أعمالاً موثقة اشتملت على أوصاف لرجال لهم رأسين والعديد من الوحش المخيفة ، الذين ذكر بأنهم يسكنون في بلاد أسطورية أو مناطق لا يكاد يعرف لها اسم^(١٢٨) وبذلك لا تعد هذه الأوصاف دليلاً على سخافة أو حمق الزنوج ، بل إن الوصف الإفريقي للصين يظهر أن كلاً من الأفارقة والأوروبيين نجحوا في تخيل أشكال خرافية .

ـ ظهر أن إحدى المخطوطات التي ترجمها Dr. Bird كانت حول موضوع أصل الإنسان . ويبدو أنها كانت عبارة عن دليل أو توجيه أخلاقي يلتزم به في الحياة . وأظهرت مقدمتها أنها ذات أساس إسلامي .

بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم صل على سيدنا محمد واحفظه هو
وأصحابه وسلم عليه سلاماً كثيراً^(١٢٩)

(١٢٧) المصدر السابق ، ص ٨٤-٨٥ .

(١٢٨) المصدر السابق ، ص ٨٤ .

(١٢٩) المصدر السابق ، ص ٨٦ .

٥ - الحاج عمر بن سعيد :

في عام ١٨٣٦ م كشف مورو (الحاج عمر بن سعيد) - والذي كان يعيش في فايتفيل Fayetteville في شمال كارولاينا عن بعض التفاصيل ، وذلك في معرض إجابته على رسالة كان كبيبي قد أرسلها له . ولد عمر في عام ١٧٧٠ م في منطقة تبعد حوالي ٢٥ ميلاً شمال شرق داكار في فوتا تورو ، وأحضر إلى تشارلستون Charleston في عام ١٨٠٧ م . وكان عمر في ذلك الوقت متزوجاً وله ولد ولكنه لم يستطع رؤيتهم مرة ثانية . قتل والد عمر في حرب بين القبائل عندما كان في الخامسة من العمر ، وقام عمه على رعايته . وقابل بعض الدعاة إلى الإسلام الذين أقنعواه بالتحول لهذا الدين وعلّموه بعض اللغة العربية . أصبح عمر بعد ذلك داعية إسلامياً ومعلمًا وكان قد بدأ ممارسة تجارة الملح والقطن قبل استرقاقه بقليل . وشارك في حروب الجهاد واستطاع أن يحج إلى مكة ، حدث ذلك قبل استرقاقه عندما كان في الخامسة والعشرين من العمر تقريباً . وتمكن من نقل قصته بنفسه إلى كبيبي وسطر قصة حياته في عام ١٨٣١ م^(١٣٠) .

بسم الله الرحمن الرحيم .. ليس بإمكانني كتابة قصة حياتي فلقد نسيت معظم اللغة العربية ، فلا أستطيع قراءة الفصحى ولكن قليلاً من اللهجة المحلية . أرجو من إخوانى ألا يعتبا على فعينى ضعيفتان وكذلك جسدي .

[كان في ذلك الوقت قد بلغ حوالي ٧١ من العمر] .

اسمي عمر بن سعيد . ولدت في فوتا تورو وهو مكان يقع بين نهرين . (ربما كانتا نهري السنغال وغامبيا أو السنغال والنiger في أجزائهما العليا) .
المعلمون في بوندو - فوتا Bund-Futa كانوا أخني الشيخ محمد سعيد - Moham med Sayeed والشيخ سليمان كيمبا Soleyan Kimba والشيخ جبرائيل عبد الله Jebraeel-Abdel . لقد مارست التدريس لمدة ٢٥ عاماً ، ثم جاء جيش كبير إلى بلدي فقتل الكثير من الناس وأخذوني إلى البحر ، وباعونى إلى

(130) George H. Callcott, "Omar Ibn Seid, A Slave who wrote an 'Authobiography in Arabic,'" *The Journal of Negro History* 39 (January 1954): 58-59; and Clyde-Ahmad Winters, review of *Roots*, by Alex Haley, In *Al-Ittihad* 8 (October/November 1976): 19.

النصارى الذين ربظوني وأركبوني سفينة ضخمة ، أبحرنا لمدة شهر ونصف حيث وصلنا إلى مكان يسمى بلغة النصارى تشارلستون Charleston . وهناك باعوني إلى رجل صغير الحجم وشرير يدعى جونسون Johnson كان رجلاً كافراً تماماً ، لم تكن لديه أي خشيه لله . لقد أصبحت الآن رجلاً ضعيفاً لا أقوى على القيام بالأعمال الشاقة ، وبعد شهر وصلت إلى مكان رأيت فيه بعض البيوت . وعندما ظهر الهلال ذهبت إلى بيت كبير لأداء الصلاة ، فرأني غلام وقادني بعصاه إلى مكان والده وأخبره بأنه رأى رجلاً أسود في البيت الكبير . ومن ثم جاء رجلان على ظهر الخيل أحدهما يسمى هاندHandan (هانتر Hunter) وكان معهما فرقة من الكلاب . أخذاني وجعلاني أسير معهما مسافة ١٢ ميلاً إلى مكان يسمى فايبل (Fayeteville) ، وهناك جعلوني في بيت كبير لم يكن بإمكانني الخروج منه . بقيت في هذا المكان الذي كان يسمى سجنًا بلغة النصارى لمدة ١٦ يوماً وليلة . في أحد أيام الجمعة جاء السجان وفتح الباب فرأيت عدداً كبيراً من الرجال كلهم نصارى ، صاح بعضهم ، ما أسمك ؟ لم أكن أفهم لغتهم النصرانية^(١٣١) .

ويذكر عمر أن بوب مومنورد Bob Momford قد أخذه من السجن إلى بيت عائلته حيث مكث هناك أربعة أيام بلياليها وهناك جاء جيمس أوين James Owen وهو صهر مومنورد الذي كان متزوجاً من ابنته بيسي Betsy ، سأله جيمس James عمر إذا كان يرغب بالذهاب معهم إلى بلادن Bladen . وبقي عمر في بلادن إلى الوقت الذي كتب فيه الرسالة إلى كيبي . كان جيمس أوين James Owen قائداً في الجيش التابع للولاية بينما كان أخوه جون John هو الحاكم المستقبلي لها . ورآه كلاهما في السجن حيث أخذاه إلى مزرعة جيمس في ميلتون Milton ، وهناك قاموا بشرائه رسمياً من سيده السابق . يظهر من فقرة أخرى من فقرات الرسالة أن عمر لقي معاملة حسنة هناك بالنسبة لكونه رقيقاً . ويعود أيضاً أنه قد تحول إلى النصرانية .

أيها الناس في شمالك كارولينا أيها الناس في جنوب كارولينا أيها الناس في أمريكا جيئاً ! يوجد بينكم رجل صالح أسمه جيمس أوين وكذلك أخيه

(131) Dwight, "Conditions and Charter of Negroes," 39.

جون أوين لقد قرأ لي جيمس وأخوه الإنجيل . وفتح الله ربنا وحالقنا وملكتنا الحاكم في جميع شؤوننا والنعم ، فتح قلبي إلى الطريق المستقيم^(١٣٣) .

كتب ريفيرند ولIAM بلمر Reverend William Plumer مقالاً نشر في صحيفة نيويورك أوبزيرفر New York Observer بتاريخ ١٨/١٩٦٣ م . كان المقال بعنوان ميروه - أفريقي أصيل Meroh,a Native African يسرد المقال بعضًا من قصة حياته . واشتمل أيضًا على بعض المعلومات حول مشاهداته الدينية في أمريكا .

ذكر أن الرجل عندما حُبس في سجن مقاطعة كامبرلاند Cumberland وجد بعضًا من رماد الفحم ، فكتب على حوائط السجن بالعربية ما فهم على أنه نداء للاستغاثة ، وعندما وصل إلى عائلة القائد أوين كان مسلماً سنياً في بداية الأمر وكان يصوم رمضان ، ويسبب كرم وحسن صديقه تم الحصول على نسخة مترجمة إلى الإنجليزية من القرآن بالإضافة إلى نسخة من الإنجيل ، ولكنه أصبح نصرانيًّا بالتدريج ، وتم تعميده وقبوله في الكنيسة الرئيسية في فايتفيل Fayetteville بواسطة القس د . سندرجراس Snodgrass (سجل ذلك القبول في الفترة ما بين عامي ١٨١٩ و ١٨٢٢ م) ، ولكنه حَوَّل بعدها إلى كنيسة ويلمنجتون Wilmington^(١٣٤) .

حصلت عائلة أوين على نسخة من الإنجيل المذكور أعلاه بالإضافة إلى نسخة من القرآن - وكان كلاهما باللغة العربية . بعد تحول عمر إلى النصرانية تم تعميده في الكنيسة . وما زال الإنجيل محفوظاً في مكتبة كلية ديفيدسون Davidson والذى وصف بأنه بالمشن الأوراق ويوجد عليه حوالي نصف ذرية من الأغلفة المخيطه . حيث كان يضيف غلافاً جديداً إليه وخيطه كلما تلف أو تمزق غلاف قديم . وقام عمر أيضاً بمراسلة جمعية الإنجيل الأمريكية American Bibel Soci- ety طالباً منها إرسال نسخة من الإنجيل المترجم إلى العربية إلى قومه . وقد

_____ (١٣٤) المصدر السابق .

(133) "Autobiography of omar ibn Said," *The American Historical Review* 30 (July 1925): 791-792.

أرسلت نسخة كما طلب وأرسل رئيس القبيلة إلى الجمعية شاكراً لها^(١٣٤). وقد كتب عمر رسالة أيضاً إلى شخص يسمى هانتر Haunter ، والذي يبدو أنه قد طلب منه كتابة سيرة حياته . ربما كان هانتر هو أحد الرجالين الذين وجداه في الكنيسة وأخذاه إلى فايتفييل . وفي عام ١٨٣١ م كشف النقاب عما يلي فيما يتعلق بحياته قبل الاسترقاق .

قبل وصولي إلى البلد النصراني ، كان ديني هو دين محمد ، رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كنت أسير إلى المسجد قبل طلوع الفجر وأغسل وجهي ورأسني ويدئي وقدمي . وأصلح الظهر والعصر والمغرب والعشاء . وأدفع الزكاة في كل عام من الذهب والفضة والحبوب والماشية والغنم والماعز والبقر والقمح والشعير . كنت أخرج العُشر من قيمة جميع الأشياء المذكورة أعلاه . كما كنت أجاهد في كل عام ضد الكفار وحججت إلى مكة كما يفعل كل من يستطيع ذلك - أبي كان له ستة من الأولاد وخمس من البنات ، وأمي كان لها ثلاثة أولاد وبنت واحدة . عندما تركت بلادي كنت في السابعة والثلاثين من العمر ؛ وقضيت حتى الآن في بلد النصارى ٢٤ سنة^(١٣٥) .

وأخبر عمر هانتر عن حياته من الناحية الدينية بعد تحوله إلى النصرانية . في السابق كان يحب قراءة القرآن ولكن من كانوا يملكونه كانوا عادة ما يقرؤون له من الإنجيل . ويبدو أنهم كانوا هم المسؤولون عن تحوله إلى النصرانية ، ولكن هناك معلومات متضاربة عن عمق هذا التحول . كتب القس جيرلي Reverend Gurley في عام ١٨٣٧ م أن عمر حافظ على صلة صادقة بدين آبائه واحتفظ بنسخة من القرآن باللغة العربية .. والذي كان بمثابة أغلى كنز لديه^(١٣٦) وربما كان هناك بعض الأسباب التي تشعر بأن تحول عمر إلى النصرانية لم يكن عميقاً جداً . ربما حدث معه كما حدث مع غيره من المسلمين حيث اندفع إلى التظاهر

(134) Callcott, "Omar ibn Seid," 62-63.

(135) "Autobiography of Omar ibn Said," 793-794.

(136) المصدر السابق ص ٧٩٠

بتنصره من أجل أن يرضى سيده . ربما كان تمزق نسخة الإنجيل التي عنده يدل على اهتمامه الشديد بمحاتوياته . ومع ذلك عندما قام أحد القساوسة بترجمة النسخة الموجودة عنده من المزמור الثالث والعشرين ، وجد أنها تبدأ بالكلمات التالية اللهم صل على النبي محمد . وهناك العديد من الملاحظات المدونة في نسخة الإنجيل التي لديه تعبّر عن آراء نصرانية وإسلامية معاً^(١٣٧) . فيما يلي بعض المقتطفات التي توضح أحاسيسه وملاحظاته .

[الحمد لله رب العالمين ، حمدًا وافرا . إنه واسع الرحمة كثير العطف] .
 أنزل الشرع والقانون على موسى ولكن الفضل والحق أنزل على عيسى المسيح . عندما كنت من أتباع محمد كنت أصلح كما يلي : الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ، ملك يوم الدين ، إياك نعبد وإياك نستعين إهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . أمين - ولكنني الآن أدعو هكذا باسم الأب . الخ . ، بكلمات سيدنا عيسى المسيح^(١٣٨) .

حلل أحد المترجمين أسلوب عمر في الكتابة . ومن الواضح أنه كان يقدّر عمر بسبب إنجازاته العلمية الظاهرة .

كان الحديث غامضًا جدًا في لغته ، فالكاتب - كما اعترف هو بنفسه - كان جاهلاً بقواعد اللغة . . . كتبت القصة بأسلوب بسيط واضح جلي - مع وجود بعض الاستثناءات ، أو بأسلوب عربي غربي . . . ويعطي ذلك لحة عن درجة العلم التي وصل إليها المسلمون السود ، يظهر ذلك عندما نرى رجلاً مثله يكتب بلغة تختلف كثيراً عن لغته الأم . فما تجد شاباً أو حتى رجلاً بالغاً بين جماهير شعبنا يستطيع أن يكتب مثل ذلك باللاتينية أو اليونانية؟^(١٣٩)

(137) Calcott, "Omar Ibn Seid," 62.

(138) "Autobiography of Omar ibn Said," 794.

(139) Dwight, "Condition and Character of Negroes," 90-91.

وبحسب ما يذكر أحد أحفاد عائلة أوين والذى أكد رواية عمر حول قصة حياته ، فإن عمر كان مستمتعاً ب حياته في مقاطعة بلادن في ولاية ميلتون . فلم يكن يعامل كالعبد ، وكان له مقعد خاص به في كنيسة المقاطعة . كان يملك بيته خاصاً به وزنجي صغير كان يحضر له الطعام الذى يعده رئيس الطهاه . انتقلت عائلة أوين في الخمسينات من القرن التاسع عشر إلى ويلمنجتون في شمال كارولينا واصطحبوا عمر معهم . وأصبح عضواً في الكنيسة الرئيسة-Pre-sbyterian Church لتلك الجالية وكبير الخدم في هبة أوين Owen Hill وهي مزرعة الحاكم أوين . كان عادة ما يُرى جالساً على الشرفة لابساً معطفاً أسود طويلاً وعمامة ، وفي بعض الأحيان كان يسلّي الأطفال بما يرويه لهم من قصص^(١٤٠) . توفي عمر بعد الحرب الأهلية في عام ١٨٧٤ م . وفي عام ١٩٢٥ م . كانت صورة شمسية له وبعض المخطوطات العربية ماتزال محفوظة لدى عائلة سيده السابق^(١٤١) .

وفي مقابلة أخرى مع مورو نشرت في مجلة أفریكان ريبوسيتي African Re-pository في يناير ١٨٦٩ م أضافت بعدها جديداً لحياته . كان في حوالي ٨٩ من العمر في ذلك الوقت وأعطت تلك المقابلة لمحات عن الروابط العالمية للإسلام .

بينما أكتب عن ذلك الرجل المسكين الذي ذكر اسمه آنفًا ، توجد أمامي على الطاولة رسالة مهمة موجهة إليه . إنها رسالة بالعربية (مترجمة إلى الصينية والإنجليزية) مرسلة إلى مورو من ينغ Yang ، وهو صيني من أتباع محمد ، يسكن في كانتون Canton ، والتي تمت كتابتها بناء على اقتراح تقدم به القس د . بول Rev. D Ball ، وهو مبشر متبعث إلى كانتون الذي كان على معرفة بكليهما . فيما يلي خاتمة الرسالة : إن الإله الحقيقي الأعظم ، بعطفه وكرمه على أخي الأكبر مورو الذي استلمت رسالته وفهمتها جمعياً ، ولكننا نبعد عدة آلاف من الأميال عن بعضنا البعض بحيث لا نستطيع رؤية بعض والحدث وجهاً لوجهه ، ولكنني مازلت أطمع في الفضل الدائم للإله الحق . ذلك سيكون من عظيم توفيق الله ! إنني أعرف بأنني تأملت باهتمام وتفكير متزايد

(140) Callcott, "Omar Ibn Seid," 62.

(141) "Autobiography of Onar ibn Said," 971.

تلك الحروف القديمة التي تنقل كلمات الاحترام والأمل من رجل في أقصى الشرق إلى آخر في أقصى الغرب ، والتي كتبت بلغات يتحدث بها حالياً أكثر من نصف سكان الكوكبة الأرضية^(١٤٢)

٦ - عبد الرحمن إبراهيم :

ولد عبد الرحمن إبراهيم Abd al-Rahman Ibrahima الملقب بالأمير المغربي في عام ١٧٦٢ ، وربما كان ذلك يوم الإثنين أو الجمعة . لا يعرف شيئاً عن والدته سوى أنها كانت من طبقة الشرفاء وكانت إحدى أربع زوجات . كان جده ملكاً للمقاطعة . وأبوه سوري Sori كان قد استولى على أراضٍ جديدة انتقلت إليها عائلته عندما كان إبراهيم في الخامسة من العمر . وأطلق الجيش على سوري Sori لقد المامي Almaami أي الذي يوم الناس في الصلاة [الإمام] وذلك بعد انتصاره في إحدى حروب الجهاد . وفي الخمسينيات من القرن الثامن عشر قاد عدداً من حروب الجهاد في مناطق إفريقية يحكمها الفوتو . كانت عائلته تعيش في بلدة تمبو Timbo والتي كان تعداد سكانها يزيد على ٦٠٠ نسمة قبل بداية القرن التاسع عشر . وكانت البيوت في تلك البلدة مستديرية ذات جدران مصنوعة من الطين وغرف واسعة مهواً ، ولكل مسكن فناء محاط بسياج مرتفع . وقد أعجب بعض الأوروبيين بهذه البلدة وبمسجدها .

كان المسجد المحاط بأشجار البرتقال من أبرز وأشهر المباني في البلدة ، وهو ثانٍ أقدم بيوت العبادة في الفوتو . بني المسجد على شكل خروط ضخم مدعم من الداخل بأعمدة خشبية مثبتة في أرض طينية صلبة . كان المؤمنون يصلون على سجاد من جلد الحنف مرتب في صفوف تبعد ثلاثة أقدام عن بعضها البعض . كان للعائلات المعروفة مثل عائلة سوري Sori بيوت ريفية غرب تمبو ، وغالباً ما يسكنون هناك^(١٤٣) .

(142) John W. Blassingame, ed. *Slave Testimony: Two Centuries of Letters, Speeches, Interviews, and Autobiographies* (Baton Rouge: Louisiana State University Press, 1977), 470.

(143) Terry Alford, *Prince Among Slaves* (New York: Harcourt Brace Jovanovich, 1977), 4-6., 9.

وصف أمير كان سيروس جريفن American Cyrus Griffin في عام ١٨٢٨ التعليم في مدارس المسلمين . رغم أن التعليم كان نظرياً مفتوحاً للجميع فإنه عادة ما تجد أن عدد أبناء الطبقات العليا أكثر من غيرهم . وكان رجال الدين المرتبطون بالمساجد يعلمون القراءة والكتابة والحساب بالإضافة إلى اللغات .

كانت نسخ خطية من القرآن وكتب الدين وغيرها توزع في المدارس . انتشرت المكتبات الخاصة التي تحتوي على كتب الدين والفقه ، وكانت الكتب وأوراق الكتابة تعتبر من المدايا القيمة . معظم المسلمين الصغار - الذين كانوا يضربون بعض المعلم المهمزة عندما تفشل الوسائل الأخرى - قرأوا القرآن عدّة مرات ونسخوه مرة واحدة على الأقل قبل بلوغهم الثانية عشرة من العمر . وكانت تتوفّر دراسات إضافية عن القانون الإسلامي لمن أرادا^(١٤٤) .

عندما بلغ إبراهيم الثانية عشرة من العمر أُرسل إلى ماسينيَا ومدينة تموكتو والتي تبعد ألف ميل من أجل إكمال تعليمه . وربما كان يتم إعداده من أجل أن يخلف والده في مركزه . وربما تعلم القرآن في تلك المدينة كثيرة المساجد بالإضافة إلى الجغرافيا والفلك والحساب . . . وقوانين البلاد وغيرها من المواضيع^(١٤٥) . وكان في عام ١٧٨١ م بداية قصة أثرت على سير حياة إبراهيم بعد سنوات عديدة .

عندما كان الأمير في التاسعة عشرة من العمر ، كان د . [جون كوتيس John Coates] كوكس Cox ، وهو مواطن أمريكي وجراح على ظهر سفينة وصلت إلى سيراليون . ذهب كوكس في رحلة سريعة للصيد في الأدغال ولكنه ضاع في الغابات وعند وصوله إلى ساحل البحر وجد أن سفينته قد أحترت . ومن ثم قفل أدراجه إلى البلد ووصل بعد وقت طويل متعباً ومنبهك القوى إلى فوتا جالون . وكان أول رجل أبيض يرى في تلك البلاد ولذلك فقد حُمل بغضول شديد إلى الملك في تمبو الذي هو والد عبد الرحمن إبراهيم^(١٤٦) .

(١٤٤) المصدر السابق، ص ٦ .

(١٤٥) المصدر السابق، ص ١٣ .

(146) Robert Benjamin Lewis, *Light and Truth, From Ancient and Sacred History*, (Portland, ME: D.C. Clesworthy, 1836). 137-139.

كان كوكس أول رجل أبيض يراه سكان تبو . فكانوا يتزاحمون حوله باستمرار لدرجة أنه كان بحاجة إلى حرّاس من أجل أن يتمشى قليلاً فقط^(١٤٧) . وأكرمه الملك لمدة ستة أشهر وأعطاه بيتاً ومريضاً وبعض الملابس والذهب والماج وحرساً مسلحين ليوصلوه إلى سفينته فيما بعد . وبينما كان كوكس في تبو تزوج وحملت زوجته التي ربما كانت أخت إبراهيم . وانضم إبراهيم إلى مجموعة فأتقن بذلك الإنجليزية . ودع كوكس الأفارقة (وزوجته الحامل في غالب الأمر) وعاد إلى أمريكا^(١٤٨) . وفي ذلك الوقت أصبح إبراهيم بدرجة كولونيال في جيش والده . وعند عودته من إحدى الهجمات الناجحة بوقت الجيش مما أدى إلى أسر إبراهيم ، وبيع إلى المانديين الذين باعواه بدورهم إلى أحد تجار العبيد في ثغر غامبيا . وأخيراً بيع إلى الكوليونيال توماس فوستر Thomas Foster في ناشيز Natchez في منطقة المسيسيبي Mississippi . اشتري فوستر امرأة تسمى إيزابيلا Isabela «وكانت امرة جميلة وجذابة» ونصرانية ، تزوج منها إبراهيم في يوم عيد الميلاد سنة ١٧٩٤ م ، وعملت لها حفلة رسمية مما يشير إلى أنها كانا يعاملان معاملة أرفع مستوى من غيرهم من العبيد .

اصطحبت إيزابيلا معها ثلاثة من الأطفال إلى مزرعة فوستر ولكن واحداً منهم فقط هو ليميرك Limerick كان يعرف بأنه ابنها ، أما الاثنان الآخرين يعقوب Jacob وأناكى Anaky اللذان كانا أكبر سنًا من لميريك فيتحملان أنها من أبنائهما أيضاً . أنجب إبراهيم وإيزابيلا ثلاثةأطفال خلال عشر سنوات هم سيمون Simon وبرنس Prince وابن ثالث لم يعرف اسمه^(١٤٩) . وفي السنوات اللاحقة أنجبا أربعاً من البنات . كان فوستر يعلم أن إبراهيم على درجة عالية من العلم فوضعه مسؤولاً بعده عن المزرعة . وسمح له أيضاً بممارسة شعائر دينه ، وربما كان ذلك لما يعلمه فوستر بأهمية العلم في الإسلام . وصفت كارولين ثاير Caroline - شاعرة المسيسيبي - إبراهيم بأنه من أتباع محمد التمسكين جداً بتعاليم

(147) Alford, *Prince Among Slaves*, 17.

(148) المصدر السابق ، ص ١٨ .

(149) المصدر السابق ، ص ٥٥-٤٤ .

الدين . كما لاحظ أيضاً أندرو مارستشوك Andrew Marschak وهو صاحب مطبعة في المسيسيبي بأن إبراهيم متمسك جداً بدينه^(١٥٠) . ولكنه كان يصعب عليه الاستمرار في دراساته هناك .

على أي حال ، لم يكن لدى إبراهيم ورق أو أقلام ، كما لم يكن لديه مصحف . ومررت عليه عشرات السنين دون أن يرى كتاباً إسلامياً واحداً أو ورقة مكتوبة بالعربية ومن أجل أن يحافظ على علمه كان يكتب الحروف العربية على الرمال عندما يعلن توماس عن وقت للراحة أثناء العمل تعلم أن يتكلم الإنجليزية بشكل متقطع فكان يحذف حروف العطف وكان يستعمل الكلمة the أو He أو De بدلاً . ولم يكن هناك أي جهد يذكر لتعليميه القراءة والكتابة . اعتاد توماس على العمل مع الأميين ولم تكن زوجته أو أمه تعرفان كتابة اسميهما . أما شعور إبراهيم الخفي بعلو شأنه بسبب ما يمتاز به من العلم فقد كان يضيع في جو من الفوضى والخشونة كان يسود المزرعة^(١٥١) .

لم يسجل أحد ما إذا كان إبراهيم قد أجبر على أكل لحم الخنزير ، حيث كان فوستر يقوم بتربية الخنازير في مزرعته (سجلت بعض الحالات التيتمكن المسلمون فيها من المحافظة على عدم أكل المحرمات عندهم) ، وسمح له ولزوجته بالحصول على حديقة صغيرة خاصة بها وبيع مخصوصها في البلدة جنباً إلى جنب مع الطحالب الإسبانية التي كانوا يجففونها لعمل الفرشات . وقد منحه فوستر إذناً خاصاً للذهاب إلى ناتشيز Natchez في أيام السبت والأحد . وتمكن هناك من الحديث مع بعض الأفارقة بلغته وهي لغة الفولا ، والتي كان العديد من الأفارقة يفهمونها ، وأعطاه ذلك فرصة استلام الرسائل من بلدته . وبعد سنوات طويلة من أسره استلم رسالة من بلدته .

(١٥٠) المصدر السابق ، ص ٥٧ .

(١٥١) المصدر السابق ، ٥٨ .

صاحب به الرجل : عبد الرحمن (إبراهيم) ! عندما رأه يسجد على الأرض .

كانت سجدة شكر وتقدير فعلها إبراهيم على غير عادته وفي غير المكان المناسب . الرجل الذي سلمه الرسالة عرف بأنه زنجي من مملكة أبي إبراهيم . ومن المحتمل أن يكون من الحالونك Jalunk الذين بيعوا أو سرقوا من تلك المنطقة^(١٥٢) .

عرف إبراهيم بأن والده قد توفي مطمئناً في فراشه بعد أن أسر بفترة قصيرة ، وأن أخيه سعدو Saadu قد نصب نفسه ملكاً almaami . حكم سعدو لمدة سبع سنوات . كان رجلاً ورعاً جداً وتقىً ولكن أحد منافسيه قاد انقلاباً عليه وطعن المشاركون في هذا الانقلاب سعدو حتى الموت وطردوا أتباعه . ومن المحتمل أن يكون إبراهيم قد قتل فيها لو كان مقىياً في تبو في ذلك الوقت^(١٥٣) .

لم يندمج إبراهيم أبداً في ثقافة الأميركيان العامة أو ثقافة العبيد . كان يبدو شخصية متميزة عن هاتين الدائرين . وبالرغم من أن البيض كانوا ينظرون إليه على أنه مجرد عبد ، إلا أنه كان يشعر بأنه أعلى منزلة وشأنًا من أمثاله من النصارى . لم يكن قوم إبراهيم - الفولانيون - يقصّون شعورهم وبعد أن قصّ شعره أفاء وتركه . لم يكن لديه وقت طويل لحضور طقوس الطهارة التي اشتهرت بها مجتمعاته ، وأثر عليه ذلك إضافة إلى عملية استرقاقه من الناحية الصحية والنفسية واحترام الذات .

ظل نموذجاً للنزاهة والجد في العمل ورجلًا يعتمد عليه في أي أمر يذكر اهتمامه فيه . لم يشرب الخمر قط ولم يلعن أحداً قط ولم يُضبط في أي عمل شائن أو مخادع أبداً . وصمم على البقاء ونجح في ذلك ولكنه دفع ثمناً شخصياً باهظاً . قال رجل كان يعرفه عن قرب لمدة عقدين من الزمان - على الرغم من مرور السنين وبالرغم من حب زوجته له وسعادة أسرته وبالرغم من

(١٥٢) المصدر السابق ، ص ٦٠-٦١ .

(١٥٣) المصدر السابق ، ص ٦١-٦٢ .

احترام مالكه له - لم ير أبداً ابتسامة ترسم على وجهه خلال السنوات التي عرف فيها إبراهيم^(١٥٤).

حدثت حادثة غير عادية هي التي أدت إلى عودته إلى إفريقيا . وبمساعدة صاحب المطبعة مارستشوك Marschalk والسناتور الأمريكي لمنطقة المسيسيبي توماس ريد Thomas B. Reed وسكرتير الدولة هنري كلاي Henry Clay والرئيس آدمز Adams تحولت مأساة إبراهيم إلى سبب من أسباب شهرته .

... بينما كان الأمير يبيع البطاطا الحلوة في واشنطن العاصمة-Wash ington D.C. قابل د . كوكس الذي كان قد عرفه قدیماً في إفريقيا وصاحبہ في المسكن في تعبو ، عرقه بمجرد رؤيته ولأول وهلة . ذهب الدكتور كوكس - ويكل ما في نفسه من شكر وعرفان للأمير - إلى الكولونيال فوستر وعرض عليه مبلغًا قدره ألف دولار كهدية ، ولكن فوستر كان يقدرها بأثمان من ذلك بكثير ، لأنه كان له تأثير إيجابي على العبيد ، وبالتالي رفض هذا العرض . ولكن التوصلات العديدة التي قام بها أحد أبناء د . كوكس وآخرون أدت إلى تحرير الكولونيال عبد الرحمن Col. Rahahman وزوجته في ربيع عام ١٨٢٨ م^(١٥٥) .

قصّ إبراهيم Ibrahima نفسه قصة مقابلته للدكتور كوكس ولكن روایته اختللت قليلاً عن الروایة التي ذكرت سابقاً ، وأعطت مزيداً من التفاصيل . فمثلاً ورد في روایة إبراهيم التي سجلت في عام ١٨٢٨ م أن تلك المقابلة حدثت في ناتشيز Natchez وليس في واشنطن .

بعد أن قضيت هناك [في ناتشيز] ست عشرة سنة ، قدم الدكتور كوكس إليها وقابلته في أحد الأيام في الطريق ، فقللت لرجل جاء معه من إفريقيا : سامبو Sambo إن هذا الرجل يبدو كرجل أبيض كنت قد رأيته في

(١٥٤) المصدر السابق ، ص ٦٤-٦٥ .

(155) Lewis, *Light and Truth*, 139-140.

بلدي . أنظر إليه عندما يمر بنا ، فإذا ما فتح عليناً واحدة فقط فإنه يكون هو الرجل نفسه . وعندما اقترب منا لم أحبه إيقافه دونها سبب ، فقلت له : سيدتي هل تود شراء شيء من البطاطا ؟ فسألني : أي بطاطا لديك ؟ وبينما كان ينظر إلى البطاطا نظرت إليه بإيمان فعرفته تماماً ، ولكنك لم تعرفيني ، ثم قال : من أين أتيت ؟ فقلت له : من عند الكولونيل فوستر . فقال : ولكنك لم يربك بنفسه ، ثم أردف : هل أتيت من تبؤ ؟ فأجبته : نعم سيدتي . فقال الرجل : هل اسمك عبد الرحمن ؟ فقلت : نعم سيدتي . ثم وثب عن حصانه وعانقني وكيف وصلت إلى هذا البلد ؟ ثم قال لي : ألق هذه البطاطا وتعالى معي إلى بيتي . فقلت له : لا أستطيع لأنه يجب علي أن أعيد البطاطا إلى البيت . ثم أمتطى حصانه بسرعة ونادى امرأة زنجية لتأخذ البطاطا عن رأسي . ثم أرسل إلى الحاكم . ول يأتي لرؤيتي . وعندما جاء قال له د . كوكس : لقد ذهبت إلى بيت والد هذا الغلام وعاملوني كأحسن ما يعاملني والدي . ثم أخبر الحاكم بأنه على استعداد لشرائي بأي ثمن وإرسالي إلى بلدي . وفي اليوم التالي استفسر عن الشمن الذي يمكنه شرائي به ولكن سيدتي لم يكن راغباً في بيعي . وعرض عليه مبلغًا كبيراً من المال ولكنك رفض . ثم قال له : إذا لم تستطع بيعه فعامله معاملة حسنة . وبعد موت د . كوكس عرض ابنه مبلغًا كبيراً لشرائي ^(١٥٦) .

أظهرت رسالة هنري كلاي Henry Clay بتاريخ ١٢/١/١٨٢٨ م مدى الاهتمام الذي حظي به وضع إبراهيم . فقد أرادت الحكومة نقله إلى ليبيريا وهي مكان زاره إبراهيم في شبابه ولا يبعد كثيراً عن موطنه الأصلي . وتعاونت في ذلك الجمعية الاستعمارية الأمريكية American Colonization Society وهي مؤسسة تسعى لتخلص الولايات المتحدة من السود المحررين . وكتب كلاي مايلي :

إن الرئيس مهم باهتماك بموضوع العبد المغربي الموجود حالياً في حوزة السيد توماس فوستر . ويرغب الرئيس في إعادة الأمير - العبد المذكور أعلاه -

(156) Blassingame, *Slave Testimony*, 686

إلى عائلته وبنته من أجل إعطاء انطباع حسن عن الولايات المتحدة . ولذلك فإنه لا توجد أية صعوبة في الاستجابة لشروط السيد فوستر والتي هي حسب فهمي أن لا يسمح للأمير بالبقاء في هذا البلد بعد اعتاقه ، بل يرسل إلى بلد دون تحمل السيد فوستر أي تكاليف والذي يسره لا يطلب شيئاً في مقابل تحرير الأمير بناء على هذه الشروط^(١٥٧) .

أطلق توماس فوستر سراح إبراهيم من العبودية ، ولأول مرة منذ عدة عقود أصبح غير تابع لأحد . و مباشرة ظهرت قضية مهمة - لا وهي مصير زوجته التي أنجبت له تسعاً من الأولاد . ولكن لجنة شكلت من خمسة أشخاص بما فيهم الداعية الشهير لإلغاء العبودية آرثر تابان Arther Tappan تمكنت من تأمين حرية أسرة إبراهيم^(١٥٨) .

أحد الرجال المهمين الذي عاصر إبراهيم واجتمع به عدة مرات كان جون راسورن John Russwurn وهو ابن مزارع أبيض وامرأة سوداء وأحد الأوائل من السود الذين حصلوا على درجة جامعية (١٨٢٦م) . وكان أيضاً محرراً لجريدة السود الشهيرة وهي جريدة الحرية *Freedom's Journal* . أمضى راسورن عدة ساعات مع إبراهيم واجتمع إليه وهو يصلي وقد أصبح أكثر ميلاً لوجهة النظر الإفريقية بالنسبة للعالم . كان راسورن يعارض مخططات الجمعية الاستعمارية الأمريكية ، ولكن اتصاله بإبراهيم أخذ يؤثر به تأثيراً كبيراً ، فأصبح يزداد سخطاً على وضع السود في الولايات المتحدة وبعد الاستماع إلى إبراهيم والاطلاع على ما لديه بدأ يفكر في الهجرة إلى إفريقيا .

« إنني أعد الحديث عن التمتع بالجنسية الأمريكية في الولايات المتحدة مضيعة للكلام ، إن ذلك مستحب تماماً حسب طبيعة الأشياء ، ولذلك فإن على جميع من يلهمون وراء ذلك تحويل أنظارهم إلى العيش في مكان آخر . هذا ما كتبه في فصل الشتاء من ذلك العام (١٥٩) » .

(157) Alford, *Prince Among Slaves*, 106-107.

(158) المصدر السابق ، ص ١٠٨ ، ١٦٤ .

(159) المصدر السابق ، ص ١٦٨-١٦٧ .

في أواخر عام ١٨٢٨ م توسل أصحاب إبراهيم إليه لغادرة الولايات المتحدة بأسرع فرصة ممكنة . وذلك لأن أندرو جاكسون Andrew Jackson الذي كان تاجراً للعبيد سوف يصبح قريباً هو الرئيس ، وبالتالي فإنه تصبح هناك شكوك حول إمكانية مغادرة إبراهيم للولايات المتحدة . وقد سبب شهرة إبراهيم اهتماماً سلبياً في منطقة ناتشيز أدى - بدون قصد - إلى ظهور تحدي لوقف أنصار العبيد . عاد إبراهيم إلى زوجته بعد غياب لمدة خمسة أشهر في رحلات خارج فيلادلفيا . وشارك السود هناك في مهرجانهم واحتفالهم في كنيسة ويستلي Wesley بمناسبة رأس السنة في ١ يناير ١٨٢٩ م ، شارك فيها كضيف شرف . استقل إبراهيم وازابيلا القارب البخاري فرجينيا الذي أبحر في ٢١ يناير من ذلك العام ، في رحلة العودة إلى إفريقيا . وبعدها انتقلوا إلى سفينة هارriet Harriet التي وفرتها الجمعية الاستعمارية والتي كانت تحمل الحرية لمائة وخمسين من ركابها . وقد أبحرت هذه السفينة في ٩ فبراير إلى إفريقيا . وكان من بين العبيد المحررين رجل يسمى ج. ج. روبرتس J.J. Roberts . الذي أصبح أول رئيس لجمهورية لييريا فيما بعد^(١٦٠) . وصلت السفينة في ٨ مارس إلى مونروفيا Monrovia وهي بلدة فيها من ٨٠ - ١٠٠ منزل فقط أصيب إبراهيم بحمى الساحل ولكن يبدو أنه شفي منها . وأصيب العديد من ركاب السفينة Harriet بالمرض الذي أودى بحياتهم . كتب إبراهيم رسالة إلى جون راسون في نيويورك حذره فيها من الذهاب إلى لييريا لأنه إذا جاء سيفي رجلاً ميتاً بالتأكيد . عرف إبراهيم بأن أحد إخوانه أصبح حاكماً فجهز نفسه للعودة إلى موطنه بعد انقضاء المطر في شهر مايو ويونيو . وفي أواخر يونيو أصيب بالإسهال الذي أنهك قوته وأفقده شهيته . وأحس بأنه سيموت قريباً . مات إبراهيم في ٦ يوليو ١٨٢٩ م . وكان قريباً جداً من بلدته ولكنه لم يستطع الوصول إليها أبداً^(١٦١) .

(١٦٠) المصدر السابق ، ١٧٤ - ١٧٧ .

(١٦١) Lewis, *Light and 'Truth*, 140-141.

لم يتمكن ذلك الرجل كبير السن من الرجوع إلى بلاد الفوتا . حتى إنه لم يتمثل بالنبي موسى الذي ذكر في القرآن بأنه استطاع رؤية الأرض التي كان يتوق إليها من على سطح أحد الجبال . ولكن رغم أنه لم يستطع العودة إلى وطنه أبداً فإنه من الجدير بالذكر بأن جزءاً من هذا الوطن بقي ملازماً له . هذا الجزء حمله معه دائمًا وبطريقة ما وبالرغم من الحياة المهمة التي عاشها فإنه تمكّن من المحافظة عليه سليماً دون خدش^(١٦٢) .

٧ - توم الإفريقي (صالح بوالي) :

الجيولوجي البريطاني الشهير السيد تشارلز لайл Sir Charles Lyell في زيارته قبل عام ١٨٤٥ م إلى مزرعة هوبتون Hopton الواقعة في جزيرة سانت سيمون St. Simon's Island في جورجيا ، قابل أولد توم Old Tom « أكا aka توم الإفريقي Afri-Tom can Tom ». توم - الذي كان صديقاً حمياً لـ بوالله Bu Allah - كان السائق الرئيس للمزارعة وكان مسلماً . ولكن أولاده وأحفاده تحولوا إلى النصرانية كما فعل العديد من أحفاد المسلمين العبيد^(١٦٣) . وكان قد ولد كواحد من قوم ماسينا الفولانيين وقد سُمي حينها بـ صالح بلايلي Salih Bilali (صالح بو العلي Ali - Bul - Ali) . وفي رسالة ربما تكون قد كتبت في أواخر الثلاثينيات من القرن التاسع عشر ذكر سيده بأنه كان يقرأ العربية وكان من أتباع محمد الملتزمين وكان يمتنع عن شرب الخمر ويحافظ على الصوم وخاصة في رمضان^(١٦٤) .

لم يُعرف الكثير عن صالح فيما عدا ما كتبه عنه سيده وبعض صفحات المذكريات عن ماسينا التي سجلها جيمس هاميلتون كوبر James Hamilton Couper الذي قدم من هوبتون Hopton . كان كوبر هو ابن جون كوبر John

(162) Alford, *Prince Among Slaves*, 179-183.

(163) Albert J. Raboteau, *Slave Religion: The "Invisible Institution" in the Antebellum South* (New York: Oxford University Press, 1978), 46.

Ivor Wilks, "Salih Bilali of Massina," in *Africa Remembered: Narratives by West*

(164) *Africans from the Era of the Slave Trade*, ed. Philip D. Curtin (Madison, WI: University of Wisconsin Press, 1967), 145.

Coper بطريرك جزيرة سانت سيمون الذي كان صديقاً حمياً لجيمس سبالدينج James Spalding . وكان صالح بلالي Salih Bilali قد ولد في سيركا Circa عام ١٧٧٠ م الواقع بالقرب من موتي Mopti على نهر النيل . وأسر عندما كان في الثانية عشرة من العمر بواسطة تجار العبيد (كانوا غالباً من البابامbara) ، وأخذوه إلى ساحل الذهب The Gold Cast . وتم تسليمه من واحد إلى آخر حتى أصبح رقيماً في الباهااما . وفي القرن التاسع عشر انتقل إلى مزرعة هوبيتون Hop-ton وبحلول عام ١٨١٦ م رقي إلى منصب كبير السائقين^(١٦٥) . وعرض الأدميرال البريطاني كوكبرن Cockburn على صالح حريته أثناء الحرب التي حدثت في عام ١٨١٢ م ولكنه رفض هذا العرض .

ولكن توم الإفريقي رفض هذا العرض ، موضحاً أن السادة البريطانيين كأمثالهم من الأمريكان ، وأن الله وحده هو السيد الحقيقي^(١٦٦) .

و ضمن ما جمعه عن أحوال بلاده وصف ما كان يذكره وهو صبي حول الوضع الديني هناك . فالعديد من الطوائف في ماسينا Macina - مثل طائفته - كانوا مسلمين بينما كان الآخرون من المشركين . وهناك أيضاً بعض الطوائف التي كان تمر في فترة انتقالية من الشرك إلى الإسلام والذين كانوا يخلطون الاثنين معاً .

كانت المساجد تبني من الطوب الجاف ، مثل أفضل البيوت ، وبها محراب باتجاه المشرق والذي كان يتوجه الإمام Al-Mami إلى في صلاته - باتجاه مكة^(١٦٧) .

(١٦٥) المصدر السابق.

(166) Kly, "The African-American Minority." 153.

(167) Wilks, "Salih Bilali of Masina," 159.

وخصص فيها بعد عدة سطور من مذكراته للحديث عن قومه . وعندما سرد أنواع الحيوانات التي كانوا يربونها أشار إلى أنهم لم يكونوا يربون الخنازير .

كان السكان الأصليون يتمازون بشعورهم الصوفية المجندة وكان الرجال والنساء يُضفرون شعورهم ضفائر طريرة تتدلى على جانبي الرأس . وفي الحروب كانوا يستعملون الترس والحراب . وليس السهم والقوس . كان جميع الأولاد يتعلمون القراءة والكتابة باللغة العربية بواسطة رجال الدين (المعلمين Maalims) ، ويرددون القرآن ويكتبون على السبورة التي كانت تمسح بمجرد امتلائها . لم يكن لديهم أي رقيق ، ومن يرتكب جريمة يعاقب عليها بالغرامة . كان الرجال يعملون في الحقول وصيد السمك ورعاية الماشية والحيات . وعملت النساء في الغزل وأعمال المنزل ولم يكن يعملن في الحقول أبداً^(١٦٨) .

٨ - نيكولس سعيد :

نشرت مجلة «الأطلسي» The Atlantic Monthly جزءاً من سيرة حياة نيكولس سعيد Nicholas Said في عددها الصادر في أكتوبر عام ١٨٦٧ م . خدم نيكولس في فرقة عسكرية خاصة بالسود أثناء الحرب الأهلية واهتم به أحد الكتاب لسببين . أولاً لأنه سُجّل أن مكان ولادته في إفريقيا وثانياً بسبب الوشم الموجود على وجهه . وكان قد ولد في بورنو Bornu وهي من أقوى المالك في السودان وذكر بأنه لم يعرف الإنجليزية جيداً والقليل والذي تعلمه منها كان بواسطة كتب كتبها الفرنسيون . وتحدث نيكولس أيضاً عن ثقافته الإسلامية .

هؤلاء الأقوام هم من أتباع محمد الملتمين ، وقد تحولوا [إلى الإسلام] قبل قرنين أو ثلاثة قرون من الزمان بواسطة العرب البدو والمغاربة الذين اندفعوا إلى السودان بحثاً عن الثروة والمال . تنتشر عدة لغات بين هذه الأقوام بعضها مكتوبة والبعض الآخر ليس كذلك ، ولكن اللغة العربية هي

(١٦٨) المصدر السابق ، ص ١٥٠ .

المستعملة بشكل كبير بين الطبقات العليا من الناس ، كما أن اللاتينية مستخدم عند القساوسة الكاثوليك . وكان القرآن بشكل خاص مكتوباً بالعربية ، وفي بلدي لم يكن يسمح لأي شخص بحمل الكتاب المقدس إلا إذا كان قادراً على قراءته وتفسير محتوياته^(١٦٩) .

نشأ نيكولس في عائلة غنية وشهيرة وبعد وفاة والده تعلم بلغته الأصلية وكذلك باللغة العربية . وتم ختانه عندما بلغ الثالثة عشرة من العمر في احتفال مع ٣٠٠ ولد آخرين . وكان قد حُذر من التجول بعيداً في الغابات ولكنه لم يأبه بذلك . وفي أحد أيام شهر رمضان وبينما كان يصيド مع مجموعة من أصحابه ، أسر نيكولس بواسطة أفراد من قبيلة كيندل Kindil وتم استرقاقه .

كنا حوالي أربعين ولداً ، أسر من ثماني عشر . كنت أتمنى أن يكون ذلك مجرد حلم وليس حقيقة ، ومررت بخاطري جميع التحذيرات التي تلقيتها سابقاً . وبدأت الدموع تندحر على وجهي ؛ لم أكن أبكي على فقسي وإنما على الأولاد الذين أقنعتهم بالذهب معى إلى تلك الغابة الموحشة^(١٧٠) .

وبعد رحلة طويلة وشاقة ، وصل نيكولس أخيراً إلى طرابلس حيث كان سيده الجديد يخطط لنقله إلى الإسكندرية ومنها إلى مكة . وفي مكة لم يُسمح له بزيارة قبر النبي أو التمتع بلقب حاج وذلك لأنه لم يذهب إلى هناك بارادته الحرة . وبعد بيعه لعدة أشخاص انتهى به المقام ريقاً في سانت بطرسبرغ Saint Petersburg ، وعاش في عدة مدن أوروبية وأخيراً أطلق سراحه الأمير الذي كان يملكه . ورغم أنه كان يملك المال الكافي للعودة إلى إفريقيا إلا أن رجلاً أبيض أقنعه بالإبحار معه إلى أمريكا . وطاف ليس فقط في الولايات المتحدة وإنما في منطقة البحر الكاريبي وكندا أيضاً ، وقد أجبرته الظروف هناك على العمل .

(169) Nicholas Said, "A Native of Bomoo," *The Atlantic Monthly* 20 (October 1867): 485.

(١٧٠) المصدر السابق ، ص ٤٨٧ - ٤٨٨ .

سافر نيكولس بعد عام ١٨٦١ م إلى ديترويت حيث عمل بالتدريس في مدرسة للسود وانضم في عام ١٨٦٣ م إلى إحدى الفرق العسكرية الخاصة بالسود أثناء الحرب الأهلية . وبعد أن سُرّح من الجيش في خريف عام ١٨٦٥ م تزوج ولم يرد له أي ذكر بعدها في التاريخ^(١٧١) .

وقصص فريدمان سانتشو كوبير Freedman Sancho Cooper قصة حياته إلى أحد أصدقائه قبل وفاته في عام ١٨٧٥ م . فقد ولد في إفريقيا في عام ١٧٨٠ م في مدينة كابوبو Cowbo وأدخل في الرق وهو في الثانية عشرة من العمر . أراد والده أن يرسله إلى إنجلترا لتلقي العلم هناك تحت رعاية السيد برايس Mr. Price ، وبينما كان في عرض البحر انقض اللصوص على السفينة وأخذوه مع الرقيق . أخذ بعدها إلى جامايكا ومكث هناك لمدة سنة إلى أن تم أخذها إلى جنوب كارولينا South Carolina حيث بيع إلى السيد كندا Mr. Canada ، وكان الكاثوليكي . وأوضح كوبير في مذكراته أيضاً أن بعض الأفارقة تحولوا من الإسلام إلى النصرانية ، وبالرغم من أن ذلك كان صعباً جداً عليهم إلا أنهم وجدوا بعض التشابه بين الديانتين والذي كان كافياً بالنسبة لهم لإيمان صلة بينها . وذكر كوبير أنه كان قد نشأ على خشية الله ، نفس الإله الذي أعبده أنا .

كان أبي يعبده من قبلي ، في لغتي الأصلية كان الرب يسمى الله والمسيح يسمى محمد^(١٧٢) .

وكشف كوبير عن عملية تحوله إلى النصرانية والتي تمت قبل سنوات عديدة . ويبدو وكأنه قد ولد من جديد تماماً . فلم يحصل فقط على ثقة سيده ، وإنما اندمج تماماً في النصرانية .

(١٧١) المصدر السابق ، ص ٤٨٨ - ٤٩٥ .

(172) Arche Vernon Huff, Jr., *The History of South Carolina in the Building of he Nation* (Alester G. Furman III, 1991), 73; and Sancho Cooper, manuscript, to [friend, ca. 1879], Walker-Wrightman Papers, MethodistChurch Archives, Sandor Teasler Library, Wafford College, Spartanburg, South Carolina.

... لقد منحني [د . بوكر Booker] العديد من الصالحيات . فلقد سمح لي بإنشاد التسابيح لله وعقد الاجتماعات في فنائه ، كما جعلني وكيلًا عن فنائه ومسئولاً رئيساً عن المشتريات ولم يطالبني بأية سجلات للأموال التي أصرفها . ولم أصب بالغرور وإنما ظل قلبي خاصعاً في شكر وتقدير لاسمي المقدس الذي حولني من إفريقي فقير ومتواضع في بلد غريب إلى رجل اكتسب ثقة سيده على هذه الأرض ، وملاً قلبي بذلك الدين الذي يجعل الرجل البسيط حكياً ويكون صديقاً للقبرير ولبن لا صديق له⁽¹⁷³⁾ .

كان أحفاد بعض العبيد من المسلمين يذكرون طرائف عن ممارسات المسلمين . فقد روت روزا جرانت Rosa Grant من پوسام پوينت Possum Point في ولاية جورجيا ما تذكره عنها كانت تفعله جدتها في صلاتها ، وهي أمّة مسلمة من إفريقيا . [كتبت روزا ذلك بلغة إنجليزية مكسرة جداً] .

أذكر عندما كنت طفلة أني رأيت جدتي ريان Ryan وهي تصلي ، كانت تصلي في كل صباح قبل طلوع الشمس حيث تنحني وتربع ثم ترفع رأسها وتسجد عدة مرات وتقرأ الدعاء . لا أذكر تماماً ما كانت تقوله ولكنني أذكر كلمة واحدة كانت تجعلنا نحن الأطفال نضحك . فإنني أذكر أنها كانت تقول "ashaneged A" [ربما تعني أشهد] . وكانت عندما تنتهي من صلاتها تقول آمين .. آمين .. آمين .⁽¹⁷⁴⁾ .

أما كاتي براون Catie Brown والتي عاشت في جزيرة سابيلو Sapelo Island في جورجيا وهي من أحفاد العبد المسلم بلايلي محمد Belali Mohamet ، فإنها تروي أيضاً بعض ذكرياتها عن العبادات الدينية لأقاربها . فقد لاحظت استعمالهم للمسابح وأنهم يصلون في أوقات محددة .. [كتبت بلغة إنجليزية مكسرة] .

... كان بلايلي وزوجته فويي Phoebe يستعملان المسبحة ، ويهتمان جداً بوقت الصلاة ويصليان حسب الوقت المحدد . يصليان عند

المصدر: السابق (173) Cooper

(174) Raboteau, *Slave Religion*, 46.

طلع الشمس وعندما تكون الشمس فوق الرأس تماماً وعند الغروب ، هذه هي أوقات صلاتهم ، وكانوا يركعون ويسبدون على سجادة خاصة للصلوة .. كان بلاي يقول "Belambi Hakab Mahamadu ، فتقول فوق أمين ، أمين^(١٧٥) .

۹ - محمد کاہا :

كان محمد كابا (alias Robert Pearl & Robert Tuffit) أو Muhammad Kaba رقيقاً في جامايكا ولد في بوكا Bouka في فوتا جالون في عام ١٧٥٨ م ويتبّع إلى المانديين . اسم والده عبد القادر Abd al-Qadir وكان رجلاً ثرياً يملك ١٤٠ من الرقيق وعدها من الخيول والماشية وقطعة من الأرض كانت تنتهي له الأرز والقطن . اعتاد بيع بضاعته إلى تجار في أوروبا وغيرها . وكانت عائلته مسلمة وربما قام والده وعمه - الذي كان محامياً مشهوراً - بتعليمه . في عام ١٨٧٨ م أخذه بعض اللصوص إلى ساحل البحر وباعوه رقيقاً وانتهى به الأمر كرقيق في Spice Grove, Manchester Parish في جامايكا ، ويبقى على هذا الحال لمدة ٥٦ سنة من حياته ، وقد عرفت قصته من خلال تبادله للرسائل مع أبيه بكر الصديق (١٧٦).

١٠ - أبو بكر الصديق :

ولد أبو بكر الصديق في تمبوكتو حوالي عام ١٧٩٠ م. وهو ينتمي إلى جماعة الشرفاء [الأشراف؟] Shurfa في غرب السودان والتي تقول إنها من سلالة النبي. عرفت قصة حياته من خلال مقتطفات لسيرة ذاتية نشرت فيما بين عامي ١٨٣٦ م و ١٨٤٢ م، بالإضافة إلى مخطوطة منفصلة عن قصة حياته أرخها بنفسه في ١٨٣٤ م، وقد عثر د. تشارلز هـ. ويسلّي Dr. Charles H. Wesley الذي

(176) المصدر السابق . Wilks, "Abu Bakr Al-Siddiq of Timbuktu," 163-164.

عمل في جامعة هوارد Houd على هذه الوثيقة في لندن في إنجلترا في قاع صندوق قديم وجد في مكتب جمعية مناهضة الرّق Anti-slavery Society . ورغم أنّ أباً بكر كان رقيقاً في جامايكا إلا أنّ قصته في إفريقيا هي واحدة من عدد قليل من القصص التي تحتوي على معلومات عن حياة مسلم إفريقي كتبها بنفسه . . وربما كانت تجربته مشابهة لتجارب العديد من المسلمين الأفارقة الذين كانوا ريقاً في الولايات المتحدة .

تلقي تعليمه في جيني Jenne وهي مركز زراعي وإسلامي شهير في وسط مالي ، حيث تعلم هناك القرآن حتى بلغ سن التاسعة من العمر . تقع جيني على بعد ٢٥٠ ميلاً جنوب تمبوكتو وكان الإسلام ولايزال يلعب دوراً مهماً في حياة المدينة . مع بداية القرن الثالث عشر أُعلن الرئيس السادس والعشرون لمدينة جيني تحوله للإسلام ، وسُجّل المؤرخ السعدي al-Sa'di في منتصف القرن السادس عشر وجود ٤٢٠٠ مسلم هناك . وفي أيامنا هذه أصبحت مدينة عدد سكانها ١٢٠٠٠ نسمة وبها ٣٥ مدرسة ابتدائية حيث يتعلم بها الطلاب الصغار القرآن ، كما أن هناك حوالي ست مدارس ثانوية إسلامية يتعلم بها الطلاب القانون وقواعد اللغة والبلاغة والأدب والفقه والسنّة النبوية وعلوم القرآن . وربما كان التعليم الذي حصل عليه أبو بكر مماثلاً لما يتعلمه المسلمون الصغار هناك اليوم ^(١٧٧) .

بعد سنة من التنقل بين المدن التي وجد فيها أقارب له ، أكمل أبو بكر تعليمه بدراسة قرآنية متقدمة . ومع بداية القرن التاسع عشر هزت الثورة التي سببها - جزئياً على الأقل - الصراع بين الإسلام والشرك غرب السودان ، حدث هذا الصراع بين المدن الإسلامية الشهالية التابعة للأشانتي Ashanti وغير المسلمين التابعين لملكة الأشانتي Ashanti Kingdom . أحد نتائج هذا الاضطراب كان أسر واسترقاق أبي بكر الذي بيع في عام ١٨٠٥ م إلى الإنجليز وأرسل إلى جزر الهند

(177) Geert Mommersteeg, "Learning the World of God," Aramco World 42 (September-October 1991): 4.

الغربية West Indies . وقد كتب في مكائن منفصلين قصتين متشابهتين تماماً لما لاقاه أثناء أسره .

... في ذلك اليوم مزقوا ملابسي وربطوني بالحبال وحملوني حملاً ثقيلاً ثم قادوني إلى بلدة بوندوكو Bonduku . ومنها إلى بلدة كوماسي Kumasi ، التي كان يحكمها ملك الأشانتي Ashanti واسمها أوسي Osei . ومن هناك اقتادوني عبر أكيسوما Akisuma وأجوماكو Ajumako الواقعتين في أرض الفانتي Fanti إلى بلدة لا جو Lago الواقعة قرب بحر الملح Salt Sea . (سرت طوال الطريق مashiأً ومحماً بحمل ثقيل) ^(١٧٨) .

سرد أبو بكر قصة أسره . وبالرغم من كل ما حدث له بقي محافظاً على إيمانه .

وهناك باعونى للنصارى ، واشتراى فى ذلك الوقت قبطان لإحدى السفن الذى وضعنى فى قارب وأرسلنى إلى أحد البحارة التابعين له ومن ثم ركبت فى السفينة . وبقينا على ظهرها فى عرض البحر لمدة ثلاثة أشهر ثم وصلنا إلى شاطئ جامايكا . كان هذا هو بدأ عهدي بالررق إلى هذا اليوم . وقد ذقت مرارة العبودية وقسوتها . ولكن الحمد لله الذى يتم كل شيء بقدره والذى يفعل ما يشاء ! ولا راد لقضاءه ولا مانع لعطائه كما قال تعالى : ﴿ قُلْ لَنْ يَصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ، هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلِيَوْكِلُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ^(١٧٩) .

كان أول سيد له يعمل في البناء واسمه دونلان Donellan ثم باعه إلى سيد آخر اسمه هينز Haynes الذى عمده وغير اسمه إلى ادوارد دونلان Edward Donel lan (ويكتب الاسم أحياناً Doulan أو Donlan) . واشتراه الكسندر أندرسون Ale xander Anderson في عام ١٨٢٣ م ليعمل منه مسؤولاً عن المخازن .

(178) Wilks, "Abu Bakr Al-Siddiq of Timbuktu," 163; and "Documents: The Life and History of Abou Bekir Sadiki, Alias Eward Doulan," *The Journal of Negro History*, 21 (January 1936): 52.

(179) المصدر السابق .

كان أبو بكر يحفظ السجلات باللغة العربية ، حيث إنه تعلم التحدث فقط الإنجليزية وليس القراءة أو الكتابة بها . وفي عام ١٨٣٤ م اقنع د . ر . مادن Anderson Dr. R. R. Maden أندرسون بضرورة أن يعتن أبو بكر ، وكان د . مادن قاضياً خاصاً في جامايكا يشرف على تنفيذ قانون العتق الذي صدر في عام ١٨٣٣ م . وتبصر عموم أهالي كينجستون Kingston بمبلغ ٢٠ جنيه إسترلينيًّا لأبي بكر^(١٨١) .

وفي رسالة كتبها د . مادن إلى عضو البرلمان ج . س . باكنجهام J.S. Buc Kingham بتاريخ ١٩٣٤/٩/١٥ م ذكر فيها أن زنجياً أحضر أمامه ليقسم يمين الولاء ليعمل شرطياً لحراسة ممتلكات أندرسون واكتشف أنه وقع اسمه باللغة العربية . بحث مادن عن تاريخ حياته وبدأ يهتم بأمره .

أحضرته إلى بيتي : وكتب لي إفاده تحريرية عن الواقع الرئيسية في حياته . . . وسرعان ما اكتشفت أن مؤهلاته كعالم باللغة العربية هي أقل الكفاءات التي كان يتمتع بها . وجدهه رجلاً يتمتع بسلوك ممتاز وفطنة كبيرة وصبر شديد . أظن أنني إذا ما احتجت إلى نصيحة في قضية مهمة من رجل ذي بصيرة حادة واستقامة خلقية عالية للجأت بأسرع فرصة إلى نصيحة هذا الرجل الزنجي الفقير كأفضل رجل أعرفه مؤهل لذلك^(١٨١) .

أعجب د . مادن Dr. Madden كثيراً بأبي بكر لدرجة أنه قرر البحث عن طريقة ما لإعتاقه . وقرر مادن الاتصال بأندرسون لمعرفة الخطوات التي يجب اتخاذها لذلك . قرر أندرسون عدم قبول أي مبلغ من المال مقابل إعتاق أبي بكر . وعلم مادن (١) مدى أهمية أبي بكر وفائدة كرقيق ، (٢) وأنه كانت هناك محاولة سابقة لتحريره .

(١٨٠) المصدر السابق ، ص ١٥٢-١٥٥ .

(181) Armistead, a Tribute for the Negro, 241-141.

قال د . مادن : تفهمت ما قاله أندرسون من أهمية هذا الرجل له - لدرجة أنه احتفظ بكتبه (باللغة العربية) - وكان هذا الرجل مسؤولاً عن الحسابات الخاصة ب أعمال أندرسون الكثيرة - باختصار لا يمكن لأي مبلغ من المال أن يعوضه عن الخدمات التي كان يؤديها هذا الرجل له . وسمعت أيضاً - بشكل غير مباشر - أن محاولة لإعتاقه قد تمت دون نجاح قبل عدة سنوات بواسطة دوق مونتييلو Montebello أثناء زيارته لجامايكا . . ولكن وبالرغم من فشل الدوق فإني وبتواضع شديد لم أحد سبباً يحکم عليّ بالفشل في ذلك^(١٨٢) .

حاول د . مادن إقناع أندرسون بأخذ مبلغ ولو بسيط من المال مقابل إعتاقه لأبي بكر ولكنه رفض . وعندما جاء يوم تحريره من العبودية ازدحم مكتب القاضى الخاص بشخصيات مهمة من كينجستون Kingston وبأناس يمثلون جميع الطوائف ، الذين قدموا لمشاهدة هذا الاحتفال . وقبل توقيع الأوراق تلية قصة حياة أبي بكر وشكر أندرسون على كرمه .

وقف بجانب الطاولة رجل زنجي ذو مكانة عظيمة في بلده الأصلي ، لعمل الإجراءات الخاصة بتحريره بعد سنوات طويلة من العبودية . ووقف بجانب سيده الذي كان مستعداً لمنح خادمه حرية ليصبحا متساوين ومتكافئين فقد كان يعلم أنه هو أيضاً له سيد في السماء تساقطت دموع الفرح من عيون بعض السود الذين كانوا يقفون أمامي ، كما كانت هناك ابتسامات تعبّر عن الراحة حتى على وجوه الحاضرين من البيض^(١٨٣) .

كتب أبو بكر رسالة في ١٨ أكتوبر ١٨٣٤ م من كينجستون يحيّب فيها على رسالة قصيرة من محمد كابا Muhammad Kaba ومقعة باسم روبرت توفيت Robert Tuffit بدأ أبو بكر الرسالة التي لم ترد على صفحة واحدة - بعرض قصير عن سيرة حياته ، ثم طلب من محمد كابا الدعاء له ولأصحابه في صلاته .

(١٨٢) المصدر السابق ، ص ٢٤٣ .

(١٨٣) المصدر السابق ، ص ٢٤٤ .

أرجو منك يا محمد كابا ومن جميع أصدقائي الاستمرار في الدعاء
لصديقي ولي ، أما صديقي فهو د . مادن الجدير بذلك وأسأل الله أن يمنحك
الشرف والمكانة العالية والسعادة ، وكذلك لجميع أبنائه وأحفاده من بعده
مادامت السموات والأرض . . . ابن بلدي العزيز ، إبني أرجوك أيًّا : ألا
تنسى في دعائك سيدي الكسندر أندرسون الذي منحني حرية دون مقابل
وعن طيب خاطر ، وأدعوك أن يرزقك ومحظتك من كل سوء .
إذا أحبت مراسلي فأرجو الكتابة لي باللغة العربية ، حيث استطيع أن
أفهمها تماماً⁽¹⁸⁴⁾ .

وفي نهاية سرده القصير لقصة حياته ، تصرع أبو بكر إلى الله أن يتفهم سبب
بعده عن دينه وطلب منه الغفران . صرخة الألم هذه كان لها صدى عالمي لدى
كل من جُردوا من دينهم والذين يؤمنون بأن ذلك جعل أرواحهم في خطر إلى
الأبد .

دين آبائي هو الإسلام ، كانوا جميعاً يختنون ويصلون خمس مرات في
اليوم ، ويصومون شهر رمضان ، ويدفعون الزكاة حسب نصوص
شريعتهم . يمكنهم الزواج بأربع نساء ولكن الخامسة محظمة عليهم ،
ويحاربون دفاعاً عن دينهم ويسافر (من يستطيع منهم) إلى الحجاز . لا
يأكلون اللحوم إلا تلك التي يذبحونها بأنفسهم . لا يشربون النبيذ ولا
الكحول لأنها محظمة عليهم . لا يصاحبون من يعبدون الأصنام ولا من
يدنسون اسم الله ، أو يعقولون آباءهم أو من يرتكبون جريمة القتل ولا من
يشهدون الزور أو الحاسدين والمتكبرين أو المتأخرین ، لأن جميع هذه العيوب
محظمة في ديني . كانوا يعتقدون بشكل خاص بتعليم أولادهم وحسن سلوكهم
ولكنني فقدت كل هذه الفوائد منذ أن أسرت وأصبحت ضالاً ، والآن أتضرع
إلى الله العظيم أن يرشدني إلى الدين الذي هو خير لي فإنه وحده يعلم أسرار
قلبي وما أنا أحوج إليه⁽¹⁸⁵⁾ .

(184) Wilks, "Abu Bakr Al-Siddiq of Timbuktu," 165-166.

(185) Mechal Sobel, *Trabelin' On: The Slave Journey to an Afro-Baptist Faith* (Greenwood Press, Westport, Connecticut, 1979), 32 *The Journal of Negro History, "Documents,"* 55.